جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية
قسم العلوم الإجتماعية

مذكرة ماستر

العلوم الإجتماعية
فلسفة
فلسفة عامة

رقم: أدخل رقم تسلسل المذكرة

إعداد الطالب:
شرون خديجة

يوم: //

مفهوم الحضارة في فكر مالك بن نبي

لجنة المناقشة:

العضو 1	الرتبة	الجامعة	الصفة
فاتح كشكار	الرتبة	الجامعة	مشرف
العضو 3	الرتبة	الجامعة	الصفة

السنة الجامعية : 2022-2023

بسم الله الرحمن الرحيم

وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً ۝وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ
لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ
اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً

الطلاق الآية (2-3)

صدق الله العظيم

الشكر و العرفان

قال الله تعالى: (لئن شكرتم لأزيدنكم)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من لا يشكر الناس لا ينكر الله)

بعد الثناء والحمد الله الذي وفقني لإعداد هذا العمل، لا يسعني إلا أن تتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان و خالص تقديرنا.

إلى الأستاذ المشرف الدكتور" فاتح كشكار " على ما بذله من نصح وإرشاد وتوجيه ومتابعة وإشراف.

إلى السادة أعضاء اللجنة على قبولهم مناقشة هذه المذاكرة وصرفهم جزء من وقتهم الثمين لأجل قراءتها.

كذلك تحية خاصة لجميع الأساتذة على دعمهم ومساعدتهم لنا ونخص بالذكر أساتذتنا الأفاضل.

إلى كل هولاء شكرا جزيلا

الإهداء

بسم الله الرحمان الرحيم اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا، اهدي تخرجي إلى الذي طالما حلمت أن يشاركني أفراحي والدي "علي" جعلك الله في عليين رحمة الله عليك يا من طاب منامك الطويل، و رحم الله جسدك الذي امتلأ طهراً، جعلك الله في جنة الفردوس الأعلى وبجوار حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم، والى أمي الحبيبة وأنا تلك الفتاة المحظوظة التي تمتلك جنتين، جنة تحت قدم امي التي حملتني في احشائها وأخرجتني الى هذه الدنيا وجنة تحت قدم التي ربتني وتحملتني طيشي إلى من كانت الداعم الاول لتحقيق طموحاتي وملجأي ويدي اليمنى ومن ابصرت بها طريق حياتي عمتي وأمي الثانية وحبيبة قلبي اللهم اشفها ورد إليها عافيتها وارحم ضعفها وقلة حيلتها، وأهدي تخرجي الى رجل عمتي الذي كان بمثابة أبي الثاني أطال الله في عمرك وأجزل الله ثوابك يا من ابتُليت بالمرض الشديد فصبرت وشكرت وأنار الله بصرك ورده إليك بإذنه، وإلى كل إخوتي وأخواتي خاصة الى اخي الكبير لزهر الذي احسن إلينا وهو الحضن الدافئ بعد أبي رحمه الله جعلك الله في احسن المراتب ورزقك الخير والى اختي حياة وولدها سراج الدين والى اخي بوزيد شفاه الله ونعيمة والتوأمين ايمن وهديل والكتاكيت صفاء ومروة وإلى كل صديقاتي الاتي تعرفت عليهن في الجامعة مريم وقمر ومروة وشريفة وخولة ومنال وسمية ولويزة وسارة وحنان وكريمة.

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
البسملة	
الشكر والعرفان	
الإهداء	
قائمة المحتويات	
مقدمة	أ-ج
الفصل الأول: الحضارة المعنى والمفهوم	
تمهيد	**6**
المبحث الأول: مفهوم الحضارة	**7**
المطلب الأول: تعريف الحضارة	**7**
المطلب الثاني: خصائص الحضارة	**13**
المبحث الثاني: مفهوم الحضارة عند الفلاسفة	**15**
المطلب الأول: الحضارة عند ابن خلدون	**15**
المطلب الثاني: الحضارة اشبلنغر	**19**
المطلب الثالث: الحضارة عند توينبي	**25**
خلاصة الفصل	**29**
الفصل الثاني: مشكلة الحضارة عند مالك بن نبي	
تمهيد	**31**
المبحث الأول: مفهوم الحضارة في فكر مالك بن نبي	**32**
المطلب الأول: تعريف الحضارة عند مالك بن نبي	**32**
المطلب الثاني: عناصر الحضارة عند مالك بن نبي	**34**

المطلب الثالث: مراحل الحضارة عند مالك بن نبي	**40**
المبحث الثاني: المحاور الكبرى للحضارة عند مالك بن نبي	**44**
المطلب الأول: مشكلة الحضارة	**44**
المطلب الثاني: مشكلة الثقافة	**4**
المطلب الثالث: مشكلة الأفكار	**52**
خلاصة الفصل	**55**
الفصل الثالث: فلسفة الحضارة بين مالك بن نبي ومعاصريه	
تمهيد	**57**
المبحث الأول: دراسة مقارنة	**58**
المطلب الأول: الدورة الحضارية بين مالك بن نبي وابن خلدون	**58**
المطلب الثاني: الدورة الحضارية بين مالك بن نبي وتوينبي	**62**
المطلب الثالث: الدورة الحضارية بين مالك بن نبي و شبينجلر	**64**
المبحث الثاني: جدلية النهضة العربية بين بن نبي ومعاصريه.	**67**
المطلب الأول: العقل الاسلامي في النص الديني بين بن نبي وآركون	**67**
المطلب الثاني: إشكالية التراث بين بن نبي ومحمد عابد الجابري	**70**
خلاصة الفصل	**74**
الخاتمة	**76**
قائمة المصادر والمراجع	**79**
الملخص	

مقدمة العامة

مقدمة :

اهتم العديد من الفلاسفة والمفكرين بمفهوم الحضارة، فقد قدموا إسهامات كبيرة في فهم آلياتها والقوانين التي تتحكم فيها. ومن بين هؤلاء المفكرين يبرز مالك بن نبي، الذي احتلت الحضارة مكانة خاصة في فكره. لقد أدرج مالك بن نبي جميع المشكلات التي تناولها ضمن إطار مشكلات الحضارة، متناولاً من خلالها مختلف القضايا التاريخية والاجتماعية. يعتقد مالك بن نبي أن المشكلة الجوهرية لكل شعب هي في الأساس مشكلة حضارية، فالحضارة ليست مجرد تطور مادي أو تقني، بل هي مجموعة من القيم والأفكار التي تؤسس للمجتمع وتوجهه نحو التنمية والازدهار. وبالتالي، فإن أي مشكلة يعاني منها المجتمع يمكن إرجاعها إلى خلل في منظومته الحضارية.

من خلال دراسته لتاريخ الحضارات، لاحظ مالك بن نبي أن الأمم والمجتمعات تخضع لنظام دوري حتمي يتكرر عبر الزمن. هذا النظام الدوري يجعل التاريخ يسجل كافة المراحل التي تمر بها الأمم، حيث تشهد فترات من الصعود والارتقاء والتطور، وأخرى من التلاشي والانحلال. هذا الفهم الدوري للتاريخ يعني أن الحضارات ليست ثابتة، بل هي في حالة ديناميكية مستمرة، تخضع لقوانين التطور والانحدار. وبالتالي، فإن الحفاظ على الحضارة يتطلب وعياً دائماً بهذه القوانين والعمل على تعزيز القيم والأفكار التي تدعم الصعود والتطور وتجنب تلك التي تؤدي إلى التراجع والانحلال.

ومن بين هؤلاء الفلاسفة يعتبر ابن خلدون من أوائل الذين استنبطوا نظرية الدورة الحضارية بأطوارها الثلاثة، وقد تأثر بها مالك بن نبي في بناء نظريته الخاصة بالدورة الحضارية. إلى جانب ابن خلدون، اهتم العديد من الفلاسفة الغربيين أيضاً بهذه النظرية التي تفسر مسار الحضارة، ومن

بينهم كارل ماركس، أوزوالد شبينجلر، وأرنولد توينبي. وبناءً على إسهامات هؤلاء المفكرين، و من هنا نطرح الإشكالية التالية: ما هو مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي؟

ويتفرع هذا السؤال إلى عدة تساؤلات فرعية وهي كالتالي:

1) ماهو مفهوم الحضارة و الدورة الحضارية ؟
2) و ماهي طبيعة الدورة الحضارية؟ و ماهي مراحلها ؟
3) هل هناك اختلاف في تفسير الحضارة و الدورة الحضارية بين الفلاسفة ؟

و أسباب اختياري لهذا الموضوع هي رغبتي في إبراز معالم فكر مالك بن نبي، والتركيز على ما قدمه من إسهامات في بناء وفهم الحضارة وآلياتها. خاصةً فيما يتعلق بمشكلاتها المختلفة. كما تعتبر فلسفة مالك بن نبي في فهم الحضارة والمجتمع وتفاعلهما من بين أبرز المناهج التي ساهمت في تطوير فهمنا لهذه العلاقة المعقدة. تحليلاته ورؤاه تعطي لنا نظرة متعمقة في تحولات الحضارة وتأثير العوامل الاجتماعية والثقافية والاقتصادية عليها. هذا النهج له أبعاده الواسعة، حيث يمكن أن يلقي الضوء على كيفية تطور الحضارة وتحدياتها المستقبلية، وهو ما يجعل فكره ذا أهمية كبيرة لفهم مسار الإنسانية بشكل عام والثقافة العربية الإسلامية بشكل خاص.

تكمن أهمية هذا الموضوع من الناحية النظرية في فهم أطوار الحضارة والقوانين التي تحكم هذا التغيير. فهو يساعدنا على فهم كيفية تطور الحضارات عبر الزمن، وما هي الظروف المختلفة التي أدت إلى الانتقال من طور إلى طور آخر. ومن الناحية العملية، يفيد دراسة هذا الموضوع في فهم كيفية الانتقال إلى حالة الحضارة من خلال تحديد الشروط التي تؤدي إلى ذلك. فعن طريق فهم العوامل التي تسهم في تطور الحضارات، يمكننا وضع استراتيجيات عملية لتعزيز وتطوير الحضارة في المجتمعات المختلفة.

وعند دراسة هذا الموضوع إعتمدنا على المنهج الوصفي والمنهج التحليلي والمنهج المقارن ، فالمنهج الوصفي كان إعتمادي عليه في وصف مختلف الأفكار والمفاهيم التي تناولها مالك بن نبي، وبشكل تحليلي رغبة في تقديم وتوضيح جل الأفكار والمفاهيم الموصوفة وتيسيرها وتسهيلها. أما المنهج المقارن في مقابلتها مع افكار غيره من الفلاسفة والمفكرين.

تسعى هذه الدراسة إلى فهم المفهوم الشامل للحضارة ومكوناتها وأبعادها المختلفة من خلال عرض وتحليل فكر مالك بن نبي في هذا الصدد. والتطرق الى مفهومها من منظور فلاسفة آخرين.

وبحسب دراستي للموضوع قمت بتقسيم بحثي إلى ثلاث فصول، وذلك للإجابة عن التساؤلات ومعالجة الإشكالية:

الفصل الأول تطرقت فيه الى مفهوم عام للحضارة وخصائصها كما تطرقت الى مفهوم الحضارة والدورة الحضارية في نظر مختلف فلاسفة.

أما الفصل الثاني فتطرقت فيه الى مشكلة الحضارة عند مالك بن نبي من مفهوم للحضارة وعناصرها ومراحلها و كذلك المحاور الكبرى للحضارة عند مالك بن نبي .

واخيرا الفصل الثالث تناولت فيه مقارنة بين فكر مالك بين نبي الحضاري مع بعض الفلاسفة وتطرقت الى جدلية النهضة العربية بين ابن نبي ومعاصريه.

الفصل الأول

الحضارة المعنى

والمفهوم

تمهيد :

تاريخ الحضارة يشكل جزءًا لا يتجزأ من مسار الإنسانية عبر العصور، حيث تعكس الحضارات تقدم البشر في مختلف المجالات مثل العلم، والثقافة، والتكنولوجيا. إن فهم هذه الحضارات ودراستها يعتبران أمرًا ضروريًا لكشف أسرار تاريخ البشرية والاستفادة من تجارب الماضي في صنع المستقبل. في هذه المقدمة، سنستعرض أهمية دراسة تاريخ الحضارة في فهم تقدم الإنسان وتطوره عبر العصور، وكيف تسهم هذه الدراسة في تعزيز التفاهم الثقافي والتعايش السلمي بين شعوب العالم.

ولهذا سوف نتطرق في هذا الفصل الى مبحثين:

المبحث الأول: ضبط المفهوم العام للحضارة

المبحث الثاني: الحضارة عند كل من ابن خلدون ، اشبلنجر و توينبي .

المبحث الأول : مفهوم الحضارة

تاريخ الحضارة يمثل مرآة تعكس تقدم الإنسان وتطوره في مختلف المجالات عبر الزمن، مؤكداً أهمية فهم تطور الحضارات لفهم تشكيل العالم الحديث وتحديد مساراته المستقبلية.

المطلب الأول : تعريف الحضارة

أولا : الحضارة لغة :

جاء لـ "لسان العرب"، فإن مفهوم الحضر يختلف عن البدو بمعنى الاقامة والثبات، حيث يُقصد بالحاضر الشخص المقيم في المدن والقرى، بينما يُعبّر عن البادي الشخص المقيم في البادية. ويُستخدم تعبير "أهل الحاضرة" للإشارة إلى سكان المدن والقرى، بينما يُشير تعبير "أهل البادية" إلى سكان الأرياف والمناطق الريفية. ويمكن وصف الشخص بأنه حضري إذا كان ينتمي إلى الحضر، بينما يُعتبر بدوي إذا كان ينتمي إلى البادية. ويأتي تسمية الحضارة للمدن والقرى نتيجة لتوطُّن سكانها في المناطق الحضرية ومساكن الدائرة التي لم يكن بها قرار[1].

- وفقًا لـ "المعجم الوجيز"، يُعرّف الحاضر بأنه الشخص الغير غائب والمقيم في المدن والقرى والأرياف، على عكس البادية. تُستخدم كلمة الحاضر للدلالة على المدن والقرى والأرياف، وتعني أيضًا العاصمة كمكان للإقامة والنشاط الحضري، وتقابل مفهوم البداوة. وتشير كذلك إلى مظاهر التطور والرقي الاجتماعي والثقافي والفني في الحضر، وتُستخدم الكلمة لتوصيف المدن والقرى والأرياف بشكل عام[2].

[1] براهيم مذكو لذكور و أخرون ، المعجم الوجيز، دار التحرير للطباعة والنشر ، مصر ، د.ط، 1989 ، ص: 57

[2] OXFORD adveneced lerners dietionnary nternational student etidion th etidion 2006 p 255

- وفقًا لقاموس Oxford الإنجليزي، يُعرف لفظ "الحضارة" Civilization بأربعة مفاهيم مختلفة.

- المعنى الأول للفظ "الحضارة Civilization "يشير إلى حالة تقدم وتنظيم في مجتمع إنساني.
- المفهوم الثاني لـ "الحضارة Civilization "يعبر عن المجتمع بثقافته ونمط حياته في فترة زمنية معينة أو في مكان معين.
- المعنى الثالث لـ "الحضارة Civilization "يُشير إلى جميع البشر في العالم، وجميع المجتمعات التي يعيش فيها الناس.
- المفهوم الرابع لـ "الحضارة Civilization "يشير إلى مواقع توفر للفرد نمط حياة مريح وعصري في المجتمع[1].

مما سبق، الحضارة تُعرف بأنها حالة من التقدم والتنظيم في المجتمع الإنساني تتميز بالاستقرار والإقامة في المدن والقرى والأرياف، حيث يعيش السكان في نمط حياة مريح وعصري. تتجلى الحضارة في مظاهر التطور والرقي الاجتماعي والثقافي والفني، وتختلف عن البداوة التي تتسم بالعيش في المناطق الريفية. كما تعبر الحضارة عن المجتمع بثقافته ونمط حياته في فترة زمنية معينة أو مكان معين، وتشمل جميع البشر في العالم ومجتمعاتهم المتنوعة.

[1] OXFORD, ibid, p 255

ثانيا: تعريف الحضارة اصطلاحا

للفلاسفة والدارسين تعاريف متنوعة لمفهوم الحضارة، فبينما يرى بعضهم أن الحضارة والثقافة مصطلحان متجانسان، يرى آخرون أن لهما تفاوتًا في المعنى. يقتصر بعضهم على تعريف الحضارة بالتقدم المادي، بينما يقتصر تعريف الثقافة على الجوانب الفكرية والعقائدية.[1]

وتعرف الحضارة بأنها ليست مجرد العقائد الدينية، بل هي مزيج شامل يتضمن الازدهار الاقتصادي والإنجازات الإنشائية والأنظمة التشريعية والتراث الحضاري لأي أمة. إنها أيضًا تضامن اجتماعي يستند إلى التقاليد والعادات الموحدة. يمكن وصف الحضارة على أنها تجمع للإنجازات التي حققتها البشرية أو ستحققها في المستقبل، بما في ذلك العمران والفنون والمعارف، وتقدمها عبر العصور المختلفة[2].

ويعرفها البعض كنتيجة لكل جهد بذله الإنسان من أجل تحسين ظروف حياته، سواء كان هذا الجهد يستهدف هذه النتيجة بشكل مقصود أو كان نتيجة غير مقصودة، سواء كان ذلك في الجانب المادي أو الجانب المعنوي[3].

وتعتبر الحضارة هي نتيجة للتطور والتمدن، حيث تأتي من النشاط الفكري والإنتاج الفعّال، وتعبيرًا عن سلوك عام لمجموعة من البشر خلال فترة زمنية معينة. يُسهم هذا النشاط الفكري في تطوير البنية التحتية والبنية الفوقية، وفي تحقيق الرفاه المادي للأفراد والمجتمع. وأما السلوك

[1] محمد عطية عطية، مقدمة في الحضارة الاسلامية ونظمها دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، الاردن، د.ط،2011، ص 14.

[2] بو زيد شلبي، تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، القاهرة : مكتبة وهبة، د.ط 2012، ص 7.

[3] حسين مؤنس الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، عالم المعرفة (الكويت: دار عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد الأول، 1978م، نقلا عن عنوان الكتاب والمؤلف والصفحة.

العام، فهو ينبع من العادات والتقاليد وقيم المجتمع الفكرية والأخلاقية، سواء كان ذلك في سلطة الحكم أو في تفاعل المجتمع بأسره[1].

يمكن القول أنّ للحضارة معنى وظيفيًا عميقًا؛ فهي ترتبط بأداء دور عالمي يتفاعل مع أنساق عقائدية أخرى، مما يتطلب تعزيز الانفتاح والتواصل والتعايش مع الآخرين من خلال التعاون والمشاركة في القضايا والأحداث العالمية. يساهم ذلك في خلق تقاطعات حضارية مهمة، وتطوير معايير تقييم التقدم والعطاء الحضاري، وقدرة تلك الأنساق على تحقيق إنسانية الإنسان من خلال بناء صرح حضاري[2].

أما ابن خلدون يعتبر أنّ الحضارة بمثابة التطور في الترف وتغيير الأحوال، وتكاليف صناعات متعددة تنقل الناس من البداوة إلى التحضر.[3]

ومن جهة أخرى، يعرِّف مالك بن نبي الحضارة بوجهة نظر تحليلية، حيث يرتبط الناتج الحضاري بعوامل متعددة مثل الإنسان والتراب والزمان[4].

و يراها عمر فروخ بأن الحضارة والثقافة ليستا نتاج ابتكار بالمعنى المطلق، بل هما تأثيرات تطورية تكاملية لمفاهيم وإبداعات سابقة. تشكل الإنتاجات الحضارية والثقافية جملة تكمل بعضها البعض، حيث يُنظر إليها كتوالي مترابط ومستمر في تاريخ الإنسانية. يُمكن مقارنة الحضارة

[1] فهد بن عبد العزيز السنيدي، حوار الحضارات دراسة عقدية في ضوء الكتاب والسنة، رسالة دكتوراه، قسم الثقافة الإسلامية كلية التربية السعودية: جامعة الملك سعود (1430هـ)، المقدمة".

[2] أنور الجندي، الحضارة في مفهوم الإسلام القاهرة: دار الأنصار، ط4، د.ط، د.ت، ص 6-7

[3] ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبطه: خليل شحادة، مرا سهيل، زكار، دار الفكر بيروت، د،ط، 2001، ص465

[4] سليمان الخطيب، فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي دراسة اسلامية في ضوء الواقع المعاصر، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط.1، 1993، ص 79.

بالشمس التي تنير جزءًا من العالم، في حين تظل بقية العالم في الظلام، مما يعبر عن التنوع والتعددية الثقافية والحضارية في العالم[1].

في كتابه، يعبّر عن مفهوم "الحضارة الإنسانية وقسط العرب فيها"، وهذا يُشير إلى الدور المهم الذي لعبه الإسلام في تشكيل الحضارة الغربية والمساهمة في التقدم الإنساني على المستويين المعرفي والثقافي.

وعرف أبو الأعلى المودودي الحضارة عادة على أنها مجموعة من الأنظمة المتكاملة، التي تحتوي على مناهج وقوانين ومفاهيم، ويعتقد البعض أنها منشأة من قِبَل الله تعالى، وتشمل أفكار الإنسان وآراءه الخلاقة في المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية. تعتبر الحضارة المقياس لتفوق أي مجتمع، ويُعد أبا الأعلى المودودي من المفكرين الذين تناولوا أسباب تخلف المسلمين وتأخرهم بسبب فقر الأفكار لديهم[2].

وبينما يعتبر الحضارة الغربية غير إنسانية في تصور المودودي، فإن الحضارة عنده تخضع لإرادة الله وتحمل وزنًا للنبوة، مع التصديق على يوم المحاسبة والعمل الصالح. وفي بعبارة أخرى، تتحقق الحضارة في فهمه من خلال المنهج الإلهي الذي يُسهم في الحد من الظلم والفساد وتعزيز العدل والنمو الشامل.

[1] عمر فروخ، الحضارة الإنسانية وقسط العرب فيها، (بيروت: مكتبة المهتدين ودار بيروت للطباعة والنشر، ط2، 1980، ص8

[2] أبو الأعلى المودودي، مؤسس الجماعة الإسلامية في باكستان عمل في الصحافة نادى بإنشاء دولة بحكم إسلامي، اعتقل بتهمة إثارة الفتن وصدر حكم بإعدامه ثم أطلق سراحه، وله كثير من الكتب المناهضة للصهيونية والشيوعية. نقلا عن: أحمد العلاونة، ذيل الأعلام السعودية: دار المنارة، ط1، 1998م، ص40.

و يرى تقي الدين النبهاني بأن مجموعة من المفاهيم حول الحياة، ويفصل بين نوعين من الحضارة: الحضارة الغربية التي تؤمن بفصل الدين عن الدولة، والحضارة الإسلامية التي تبني أسسها على العقيدة والإيمان بالله. [1]

تضاربت الآراء أيضًا في تعريف مفهوم الحضارة عند علماء الغرب، حيث نظر "ول ديورانت" إلى الحضارة على أنها: "**نظاما اجتماعيا، يعين الانسان على الزيادة في انتاجه الثقافي وتتالف من عنده من عناصر اربعة، وهي الموراد الاقتصادية والنظم السياسية، والتقاليد الخلقية، ومتابعة العلوم والفنون، وتبدا الحضارة عنده لما يتوقف الخوف والاضطراب**".[2]

و مما سبق نقول بأن الحضارة هي مفهوم شامل ومعقد يمتد إلى عدة مجالات من الحياة البشرية. تعتبر الحضارة تعبيرًا عن تطور المجتمعات وتقدمها في مختلف المجالات مثل العلوم والفنون والأخلاق والسياسة والاقتصاد. يُعتبر الحضارة أحد المعايير الهامة لتقييم التقدم والرقي في المجتمعات.

تعبر الحضارة أيضًا عن التنوع الثقافي والفكري بين الشعوب والأمم، حيث تظهر تراثًا غنيًا من العادات والتقاليد والمعارف التي تميز كل مجتمع. ومن الجوانب الهامة للحضارة أنها تساهم في توسيع آفاق التفاهم والتعاون بين الشعوب، وتعزز التبادل الثقافي والتفاهم المتبادل.

على الرغم من تنوع المفاهيم والنظريات حول الحضارة، فإن الفهم العام يُشير إلى أن الحضارة هي تجمع شامل للمعارف والقيم والممارسات التي تشكل ثقافة وطريقة حياة معينة للمجتمعات.

[1] ينظر : تقي الدين النبهاني: نظام الإسلام، (بيروت: منشورات حزب التحرير ، ط6، 2001)، ص64، 65.

[2] نبيل مسيعد، فلسفة الحضارة عند ارنولد توينبي"، مجلة الإحياء، مج. 21، ع. 28، جامعة باتنة –1– الجزائر، جانفي 2021 ، ص794

ومن خلال التطور المستمر والتقدم في مختلف المجالات، يُمكن للحضارة أن تسهم في تحقيق التقدم والرخاء للبشرية بشكل عام.

المطلب الثاني: خصائص الحضارة

الحضارة تُعتبر مرحلةً فريدةً وساميةً في تطور الإنسان، حيث تمثل النقطة التي يتجاوز فيها الإنسان حدوده ويتحدّى التحديات بإبداعه وتطويره. وبالتأكيد، لكل حضارة خصائصها الفريدة التي تميّزها عن الحضارات الأخرى اهمها:

لقد كانت الحضارة الإسلامية حضارة ممتدة رغم تقلب الأوبئة والكوارث، حيث بقيت متجددة وباقية، حيث نشأت الحضارة من خلال جملة من المظاهر عدة تسهم في التعرف في معالمها وطبيعتها، فإذا تأملنا في الحضارات القديمة وفي الوطن العربي لوجدنا أنها نشأت في المناطق التي توفرت فيها مجموعة من المعالم ألا وهي[1]:

اولا: تلعب المياه دورًا حيويًا في نشوء الحضارات، سواءً كانت من الأنهار أو الأمطار، إضافةً إلى خصوبة التربة والمناخ الملائم، الذي يعزز النشاط ويشجع على العمل. كما يأتي الموقع الجغرافي المهم، الذي يُسهل التواصل والتبادل في المنطقة، ليُسهم في تعزيز الحضارة وتطورها.

ثانيا: تطورت المجتمعات التاريخية بشكل كبير عندما استقرت في المناطق التي تتمتع بالتربة الخصبة في الوديان وعلى ضفاف الأنهار. فبفضل هذه التربة الخصبة، تمكن السكان من الانتقال من حياة الترحال إلى حياة الاستقرار. مع استقرار السكان وتوفر الظروف الملائمة للزراعة في تلك المناطق، بدأت أكبر الحضارات في النمو والازدهار. وهكذا، أصبحت هذه المناطق محطات للنشاط الحضاري المتجدد والمتطور.

[1] حسين فوزي النجار، الإسلام وفلسفة الحضارة: دار التعاون، القاهرة د ط ، د س، ص 27.

ثالثا: يعتبر المناخ المعتدل من العوامل المحفزة على النشاط والعمل، ويسهم في تقدم الحضارات وسيرها. فالمناخ المعتدل يحفز الإنسان على العمل، حيث يخلق درجات الحرارة المعتدلة تأثيرًا إيجابيًا على المحاصيل الزراعية، مما يساهم في تعزيز الإنتاجية الزراعية واستمرارية الحياة الاقتصادية. كما يعزز المناخ المعتدل التبادل الإيجابي في الداخل والخارج، حيث يسهل الاتصال والتجارة بين الحضارات المختلفة، مما يعزز التنمية والتبادل الثقافي والاقتصادي بينها.

رابعا: بالإضافة إلى ذلك، توفر المواقع الجغرافية ذات الأهمية الاستراتيجية فرصًا لتطوير المدن والموانئ والمراكز التجارية، مما يجذب التجار والمبتكرين ويعزز نمو الاقتصاد المحلي والعالمي. على سبيل المثال، كانت المدن النهضوية مثل القسطنطينية وبغداد والقاهرة تعتبر مراكز حضارية رائدة في العصور الوسطى، حيث ازدهرت بفضل مواقعها الاستراتيجية على طرق التجارة والاتصال[1].

مما سبق نجد ان الحضارة تمثل نقطة تحول هامة في تطور الإنسان، حيث تلعب العوامل الجغرافية مثل الموارد المائية، التربة الخصبة، والمناخ المعتدل دورًا حيويًا في نشوء وازدهار الحضارات. دراسة الحضارات القديمة، وخاصة الإسلامية، توضح كيف تأثرت بتوفر الموارد الطبيعية والبيئية، مما يبرز أهمية هذه الظروف في تطوير الاقتصاد والثقافة. علاوة على ذلك، يُظهر النمو الاقتصادي والتجاري للمدن الرئيسية دور المواقع الاستراتيجية في تعزيز التبادل الثقافي والتجاري، مما يسهم في التطور الحضاري. بناءً على ذلك، يتضح أن نجاح الحضارات القديمة يعتمد على التوازن بين الموارد الطبيعية والبنية الاقتصادية والثقافية.

في الختام، يجب علينا أن نتعلم من تاريخ الحضارات لنستفيد من هذه الدروس في بناء مستقبل مستدام.

[1] حسين فوزي النجار، المرجع السابق، ص 34-35

المبحث الثاني: مفهوم الحضارة عند الفلاسفة

الحضارة، من منظور الفلاسفة، تمثل قمة الإنجازات البشرية في مختلف المجالات الإنسانية. يُعَرِّفها الفلاسفة على أنها نتاج تفاعل معقد بين الثقافة، والتاريخ، والعلم، والأخلاق، حيث تتداخل القيم والأفكار لتشكيل هوية الشعوب والمجتمعات. يعتقد الفلاسفة أن الحضارة ليست مجرد تقدم مادي أو تكنولوجي، بل هي انعكاس لرقي الفكر وعمق الإنسانية. من خلال الحضارة، يسعى الإنسان إلى تحقيق التوازن بين تطوير البنية التحتية والرفاهية المادية وبين تعزيز القيم الأخلاقية والمعرفية التي تقود إلى حياة متكاملة ومتطورة، وانطلاقا مما سبق سنتطرق في هذا الفصل الى ماهية الحضارة عند كل من ابن خلدون و توينبي واشبلنغر.

المطلب الأول: الحضارة عند ابن خلدون

إنّ علم العمران الذي توصل إليه ابن خلدون يهدف في جوهره إلى تفسير التاريخ وكشف حقيقة سيرورته، إلى جانب تحديد الشروط والعوامل التي تؤثر فيها وتوجهها. من خلال دراسة معمقة للدولة وتتبع أطوارها والتطورات المصاحبة لكل مرحلة، حاول ابن خلدون الكشف عن القوانين والأسباب التي تحكم حركتها. إذ تعمق في السيرورة الاجتماعية والتاريخية، متأملاً الظاهرة الحضارية وحركتها، ومستنبطاً الأسباب والقوانين الكامنة وراء كل حركة أو ظاهرة تاريخية أو اجتماعية تؤدي في النهاية إلى نتائج حتمية ومصيرية. في هذا السياق، برزت نظريته المعروفة بنظرية التعاقب الدوري للحضارة، التي تشبه الحضارة بكائن حي يمر بثلاث مراحل: النشأة، الازدهار، ثم الانحطاط. هذه الدورة تعتمد على التناقض بين العصبية والملك، حيث يؤدي ازدهار الملك إلى تراجع العصبية، وانهيار العصبية يؤدي في النهاية إلى انهيار الملك.

الفرع الأول: مفهوم الحضارة والدورة الحضارية عند ابن خلدون

أولا: مفهوم الحضارة عند ابن خلدون

عرّف ابن خلدون الحضارة كظاهرة اجتماعية تاريخية تتجسد في الترف والإبداع فيه، والعناية بالصناعات التي تحسن وتجمّل مختلف جوانب الحياة. يشمل هذا الاهتمام الصناعات المتعلقة بالمطابخ، والملابس، والمباني، والأثاث، والأواني، وغيرها من مستلزمات المنزل.

فالحضارة تمثل قمة التطور الثقافي للجماعة المحلية. يرى ابن خلدون أن الحضارة هي غاية العمران ونهايته، وهي إشارة إلى بدء فساده، حيث يعتبر أن وصول المجتمع إلى ذروة التطور الحضاري يعني بداية انحداره[1].

ويستخدم ابن خلدون مصطلحات مختلفة مثل الدولة أو الحضارة أو العمران للإشارة إلى نفس المفهوم، وهذا يعود إلى عدم الدقة في استخدام لفظ "حضارة" بسبب الفارق الزمني وتأثره بمصطلحات عصره.

يرى ابن خلدون أن الحضارة تمر بثلاثة أطوار تتعاقب على الأمم، ويعبر عن مفهومه للنوعية من خلال هذه الأطوار، حيث ينمو كل طور ويولد طورًا آخر يختلف جذريًا عن سابقه من حيث الحجم والماهية. كما أن العمران، بما يشمله من بداوة وحضارة وملك وسوقة، له عمر محسوس يشبه العمر المحسوس للفرد الواحد من البشر[2].

[1] عيساوي وهيبة، مفهوم الحضارة عند ابن خلدون و أبعاده ، مجلة العلوم الاجتماعية ، العدد 02، قسم علم الاجتماع و الديموغرافيا، جامعة الاغواط ، 2007 ، ص 399

[2] عيساوي وهيبة، مفهوم الحضارة عند ابن خلدون و أبعاده، مرجع سابق، ص 400

ثانيا: مفهوم الحضارة والدورة الحضارية عند ابن خلدون

يتضح مفهوم الحضارة عند ابن خلدون بشكل أكثر وضوحاً من خلال تتبع نظريته الحضارية أو التعاقب الدوري، والمعروفة أيضًا بأعمار الحضارة. يُعد ابن خلدون المؤرخ العربي الوحيد الذي درس الحضارة بشكل مفصل وتناول مراحلها الثلاثة.

1) **المرحلة الأولى:**

مرحلة البناء والتأسيس للدولة تعد مثلاً للميلاد والطفولة، حيث يتم تشكيل وتأسيس الدولة وتنظيم قواعدها ومؤسساتها. يتميز جيل هذه المرحلة بخصال تجعله مؤهلاً وقادرًا على بناء الدولة وحمايتها، ويتسم بالقوة والخشونة والتوحش. يصف ابن خلدون خلق البادية في هذه المرحلة بأنهم لا يزالون على خلق البداوة، مع وجود صفاتها الشجاعة والقوة والاستعداد للمغامرة والمجد. يرى ابن خلدون أن قوة أخلاق وخصال هذا الجيل الأول، جيل البداوة، هي التي تبني وتحمي الدولة الجديدة وتضع الأسس لنموها وتطورها. فالبداوة عند ابن خلدون تمثل بداية العزم والشباب والقوة، وهو يثني على خصالها وطباعها، ويرى فيها مصدرًا للحنين والاعتزاز كلما استدعت الظروف ذلك[1].

2) **المرحلة الثانية:**

في هذه المرحلة، تكون الحضارة في أوج قوتها وازدهارها، حيث يتمتع الجيل المصاحب لهذه المرحلة بالازدهار الاقتصادي والتوسع والتطور العمراني، نتيجة لسيطرته على الأقاليم وتخضيع بقية القبائل. يحدث تحول كبير في جيل هذه المرحلة من البداوة إلى الحضارة، ومن الحياة الصعبة إلى الرفاهية والثروة، ومن المشاركة في المجد إلى التميّز الفردي والرفاهية

[1] مؤنس حسين، الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998 ، ص 271.

الشخصية. يُلاحظ أيضًا في هذه المرحلة تغيّرًا في صورة العصبية، حيث يفقد بعض الأفراد القدرة على الصمود ويصبحون عرضة للمهانة والخضوع[1].

3) المرحلة الثالثة:

في هذه المرحلة، تنخفض الدولة والشعوب إلى مرحلة الضعف والانحطاط، وقد تنجم هذه المرحلة في النهاية عن انقراض الدولة والبدء من جديد في دورة الحضارة بنفس المراحل. يسود الضعف والهوان على الدولة والناس على حد سواء، حيث يميل الناس إلى الراحة والتسلية وينغمسون في الترف والإسراف ويتخلون عن العزم والصمود. يصبح حماية المجتمع والدولة مسؤولية واليهم وحراستهم، وتتناقص مهارات الدفاع والقدرات العسكرية، ويتنازلون عن وسائل الدفاع عن أنفسهم. يفقد الجيل الثالث، أو جيل المرحلة الثالثة، حلاوة العز والعصبية، ويصبحون أقل قوة وصلابة كما وصفهم ابن خلدون في كثير من الأحيان. وبهذا، يسمح تمكن الترف والإسراف من الجيل هذا بتدني فضائله وقوته، مما يؤدي في النهاية إلى الفناء والانحلال للدولة والمجتمع[2].

شروط النمو والتقدم. وبفضل هذه النظرية، نستطيع تجميع مراحل الحضارة بشكل متكامل دون تجزئتها[3]."

مالك بن نبي قد استوحى فكرة الدورة الحضارية من ابن خلدون، حيث اعتمد على مفهومي الميلاد والأفول في تصوير خطته الحضارية بشكل بياني. وأدرج هذه الفكرة ضمن ثلاثة أطوار في حياته الحضارية، وهي طور الروح، وطور العقل، وطور الغريزة. وعلى الرغم من تبنيه لفكرة

[1] ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، دار القلم، بيروت، لبنان، ط5، 1984، ص 222.

[2] ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، المرجع السابق، ص 170

[3] مالك بن نبي، وجهة العلم الإسلامي تر عبد الصبور سبور شاهين، دار الفكر، دمشق، سورية، ص، 24

ابن خلدون، إلا أنه قدم مفاهيم علم النفس في تحليلاته، مثل الغريزة والعقل، واستخدم عملية الشرط في صياغة نظريته، مما جعله يقدم نظرية ابن خلدون باستخدام ألفاظ معاصرة ومفاهيم علم النفس.

المطلب الثاني: الدورة الحضارية اشبلنغر

الفرع الأول: مفهوم الحضارة عند اشبلنغر

يعتبر إريك شبنغلر أن الحضارة هي عبارة عن قوة روحية غنية بالإمكانيات، تظهر في بيئة خارجية تشهد حالة من الفوضى والتشتت. تحاول الحضارة تأكيد صورتها وتفرضها على هذه البيئة المختلطة، ويصبح تاريخها نضالاً مستمراً ضد القوى التي تقف عائقاً في طريقها. تتواصل هذه الصراعات بسبب وجود قوى باطنية تدفع الحضارة إلى المزيد من النضال.

عندما تفقد الحضارة قدرتها على السيطرة وتصاب بالضعف، يحدث ذلك بتأثير إحدى العوامل الرئيسية: إما بتأثير روح جديدة تحل محلها، أو عندما تصل الحضارة إلى ذروة تطورها وتستنفد كل إمكانياتها الباطنية، ويظهر ذلك في شكل لغات جديدة وأديان وفنون وعلوم ونظم سياسية.

عندما تصل الحضارة إلى هذه المرحلة، تتحول إلى مدنية وتعلن عن قرب نهايتها وانحسار قوتها واندثارها تدريجياً[1].

[1] بروال جمال، الدورة الحضارية بين فكر مالك بن نبي وأسوالد اشبنغلر، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لحضر ، باتنة 2012-2013، ص 59-50

الفرع الثاني: الدورة الحضارية عند اشبلنغر

قدم اشبنغلر تصنيفين للدورة البيولوجية للحضارة: تصنيف رباعي قائم على دورة السنة المبنية على الفصول الأربعة، وتصنيف ثلاثي قائم على عصور وحقب تاريخية معينة، وتظهر هذه التصنيفات كالتالي:

أولا: تصنيف رباعي قائم على الفصول

1) المرحلة الأولى: ربيع الحضارة (الطفولة)

الروح تمثل منطلقًا أساسيًا في تحديد مراحل الحضارة وتختلف تلك الروح من حضارة لأخرى، حيث تكون زاخرة بإمكانيات متعددة. ويعتبر إريك شبنغلر أن ربيع كل حضارة يمثل مرحلة البطولة، حيث يتجسد هذا الزمن في حياة الأساطير وشعر الملاحم وتوسع الخيال. كما يتمثل هذا الفترة في تغييرات دينية ملحوظة، مثل ظهور ديانات جديدة أو تفسيرات جديدة للإلهيات.

و يتجلى دور الدين في تفسير الحضارة من خلال روحيتها الأولى، حيث تكون الروح الدينية جوهرية في بناء الحضارة. يُظهر ذلك بشكل واضح في الفلسفة الصوفية والفلسفة اللاهوتية الكلامية التي تمثل أهمية كبيرة في هذه المرحلة. على سبيل المثال، الفلسفة اللاهوتية الكلامية لم تكن مقتصرة فقط على الحضارة الإسلامية، بل كانت موجودة أيضًا في الحضارات الأخرى، مثل الفلسفة التي وجدت في أعمال القديس توما الإكويني في الحضارة الغربية، وكذلك في الأجزاء الدينية الفيديه في الحضارة الهندية[1].

[1] بروال جمال، مرجع سابق ، ص 51

بهذه الطريقة، يُظهر شبنغلر أن فهم الدين وتأثيره على الروح والثقافة يلعب دورًا أساسيًا في فهم تطور الحضارات وتبشيرها بالأوقات الجديدة أو الفترات الانحطاطية.[1]

2) المرحلة الثانية: مرحلة صيف الحضارة (الشباب)

في هذه المرحلة، يرى اشبنغلر أنها تعقب مرحلة الإقطاع وتعتبرها المنعطف الرئيسي في تاريخ كل حضارة، حيث تظهر فيها حركة جديدة تُعرف بالإصلاح الديني. هذه الحركة تعني عادةً عودة الدين إلى جوهره الأصلي ونقائه، وتتميز هذه الفترة بالوعي والنضوج، وكذلك الانتقادية التي تظهر في المراحل الأولى من العصور.

و تجسد هذه الفترة تطورات مهمة في تاريخ الدين، مع ظهور حركات إصلاحية مثل حركة الإصلاح الديني التي قادها مارتن لوثر وجون كالفن. هذه الحركات ساهمت في قيام مذاهب دينية جديدة وإعادة تشكيل العقائد والممارسات الدينية.

تتميز هذه الفترة أيضًا بأن الدين يُعتبر دينًا خالصًا، يتخلى عن التصويرات الفلسفية والصوفية التي تؤدي في بعض الأحيان إلى التعصب الديني ونشوب الصراعات والفتن. ومن الناحية الأخرى، يشهد هذا الوقت ظهور تفكير مجرد يستكشف مسائل كالأصل الكوني في الحضارة الكلاسيكية. في هذه الفترة، يدور الصراع بين الحقائق والخيال، وبين الدين والعلم، وكذلك بين العقلانية والغيبية.[2]

[1] أسوالد اشبنغلر، تدهور الحضارة الغربية، ترجمة أحمد الشيباني، ج1 ، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د،ط، د،ت، ص 217

[2] بروال جمال الدورة الحضارية بين فكر مالك بن نبي وأسوالد اشبنغلر، مرجع سابق، ص 76-77

3) المرحلة الثالثة: مرحلة خريف الحضارة (الكهولة):

هذه المرحلة تُعرف بعصر سيادة العقل وذكاء المدينة، وتمثل ذروة الإبداع الصارم والتنوير. يُعتبر هذا العصر فترةً تتميز بالإيمان بالعقل وتقديسه، حيث يُعتبر المرجع الوحيد والأساس القادر على تفسير جميع الأمور.

ويقوم رواد هذا العصر بمهمة قيادة العالم نحو التطور والتحديث، ويدعون إلى ترك التقاليد الدينية والثقافية القديمة، وأفكار الإلحاد والعقلانية. تُشير إلى هذه الفترة بالعصور المظلمة التي تمثل مرحلة الربيع، حيث تتجلى فيها ذروة النضج الفكري والثقافي والتحول نحو تفكير يعتمد على العقل والعلم، وتسمى بفترة الإرهاق للحضارة، وفق اشبنغلر، تعني أن السلطة في المجتمع تصبح مركزية ويتناقص دور الدين، وتتطور العناصر الثقافية مثل العلم والفلسفة والفن إلى مستويات متقدمة جدًا. بالإضافة إلى ذلك، يحدث تطور في الوعي وبلوغ مرحلة النضج، وهذا يؤدي إلى سيادة الفلسفة المثالية كمركز مهم في هذه الفترة[1].

4) المرحلة الرابعة:

هذه المرحلة تسمى فترة المدنية، حيث تفقد الحضارة حيويتها لتصبح مجرد مدينة كبيرة أو عدة مدن بلا روح، حيث تكون قد بلغت غايتها وحققت صورتها النهائية، ولم تعد قادرة على التقدم أكثر من ذلك. تمثل هذه المرحلة حسب اشبنغلر مرحلة الفناء، ويعود سبب هذا الفناء والانحلال إلى سيادة المذاهب المادية في هذه الفترة[2].

[1] اسوالد اشبلنغر، تدهور الحضارة الغربية، ج2، مرجع سابق، ص677

[2] جمال بروال، مرجع سابق، ص 84

ثانيا: التصنيف الثلاثي وفقا للطبقات والعصور

1) مرحلة ما قبل الحضارة:

مرحلة ما قبل الحضارة، التي يُعرفها اشبنغلر بالنقطة الصفرية، تشير إلى الطبقة الفالحة في كل حضارة، وتحتوي على الأقوام والشعوب البدائية التي لا تُمثل الأمم أو الدول أو الشعوب في أي شيء يمكن القيام به مع الحضارة، حيث تكون خارجة عن السياق التاريخي. وبالتالي، تُعتبر هذه الطبقة الفالحة سابقة لظهور الحضارة، وتظل دائمًا في مستوى أولي في كثير من جوانبها حتى خلال فترة الحضارة، كما هو الحال في المرحلة الفرنكية مع فترة حكم الملك شارلمان من 900-500 ميلادية.

2) مرحلة الثقافة:

مرحلة الثقافة تُمثّل دخول الإنسانية أو المجتمع إلى حلبة التاريخ وصنعه، وتتميز بأنها تسبق مرحلة المدنية وتكون محصورة فقط بالشعوب المتحضرة، دون أن تتضمن الشعوب البدائية.

3) مرحلة المدينة:

في مرحلة المدنية، تفقد الحضارة صفاءها وروحها، إذ تتسم بسيطرة وهيمنة كل الأساليب المادية والتقنية على الحياة الإنسانية. يرى اشبنغلر أن المدنية تمثل غياب نجم النبالة الأرستقراطيين وضعف قيمهم الأصيلة، مثل الشجاعة والشهامة والفروسية والوفاء. بدلاً من ذلك، تسود القيم المادية الاقتصادية والعلمية في هذه المرحلة، وتختفي العائلات النبيلة ومعاييرها وقيمها التي كانت تتوارثها[1].

[1] جمال بروال، مرجع سابق، ص 95.

المطلب الثالث: الحضارة والدورة الحضارية عند توينبي

الفرع الأول: مفهوم الحضارة عند توينبي

بينما تُعتبر الحضارة دليلاً على مستوى معين من الرقي الذي حققته بعض المجتمعات، يرى أرنولد توينبي أن الحضارة هي بيئة تحتوي على مظاهر التقدم وتساهم في صنعها أيضًا. من هذا المنطلق، يصبح من الصعب التفريق بين الحضارة والمجتمع، مما يمثل إحدى التحديات الرئيسية التي واجهتها في هذا البحث. فرغم اهتمام توينبي الواسع بموضوع الحضارة، لم يقدم تعريفاً واضحاً ومحدداً لها، وهو ما أشار إليه عدد من الدراسات التي تناولت أعمال هذا المفكر.

كما انه لا يقصد بالحضارة مظاهرها المادية والمعنوية، بل يشير إلى المجتمع ذاته الذي أوجد هذه المظاهر. ولا يقصد بالمجتمع الأمة أو الدولة القومية، بل يستخدمه بمعناه الواسع الذي يتجاوز هذه التجمعات ليشمل مجموعة من الأمم التي تربطها علاقات مشتركة. يستند هذا الحكم إلى قناعته بأنه لا يمكن فهم أي مجتمع أو دولة دون دراسة المجتمعات الأخرى التي ترتبط بها. وبالتالي، تكون الحضارة عند توينبي هي وحدة الدراسة التاريخية، وليس الدولة القومية كما يعتقد أغلب المؤرخين[1].

الفرع الثاني: الدورة الحضارية عند توينبي

الدورة الحضارية عند تويبيني مبنية على نظرية التحدي والاستجابة خاصته وفيما يلي سنتطرق الى مفهوم هذه النظرية والعلاقة بينها:

أولا: مفهوم التحدي والاستجابة

عرض أرنولد توينبي نظرية التحدي والاستجابة في كتابه "دراسة التاريخ"، حيث اعتقد أن الحضارات تنشأ في المناطق التي تواجه تحديات بيئية شديدة، عندما يكون المجتمع مستعداً

[1] الهادي التيمومي، اشراف نظريات المعرفة التاريخية، وفلسفات التاريخ في العالم الغربي، في النصف الثاني من القرن العشرين مختارات معربة، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، ط1، 2008، ص 285

للاستجابة لهذه التحديات، مثل التضاريس الوعرة التي تجعل الأرض غير صالحة للزراعة، والرد على كل ما يمثل تحدياً للسكان. فعلى سبيل المثال، في حالة نقص المياه، تكون الاستجابة الصحيحة هي ابتكار أنظمة ري ملائمة، وإلا فإن المجتمع يكون معرضاً للهلاك. توينبي طور مفهوم التحدي والاستجابة بنقله من مستوى سلوك الأفراد إلى سلوك الجماعات، ومن الدراسات النفسية إلى فلسفة التاريخ والحضارة، خصوصاً فيما يتعلق بمسألة ظهور الحضارات وانهيارها. قام بتحويل مصطلح "المثير" إلى "التحدي"، وأبقى على مصطلح "الاستجابة."

ثانيا: العلاقة بين التحدي والاستجابة

يرى توينبي أن الاستجابة هي السلوك الذي يصدر عن المجتمع عند مواجهته لتحديات تهدد استمراره أو حضارته، ولا يمكن تفادي هذا المصير إلا بالرد المناسب على هذه التحديات. كما أن بعض الكائنات الحية انقرضت نتيجة استجاباتها الخاطئة، فإن المجتمعات والحضارات معرضة للانهيار إذا أخفقت في استجابتها. يتضح أن من يحاول تعريف الاستجابة أو التحدي يجد نفسه مضطراً لذكر المصطلح الآخر، مما يؤكد العلاقة الوثيقة بينهما.

يطرح توينبي مفهومين مترابطين هما التحدي والاستجابة، حيث لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر. فالتحدي لا معنى له دون تأثير سلبي يتطلب تجاوزه، والاستجابة لا تكون بدون تحدٍّ يواجهها. يعتبر توينبي أن هذا الترابط شامل، وينطبق على جميع الكائنات والظواهر، بما في ذلك القوانين الفيزيائية مثل زيادة الضغط وزيادة الانفجار. يرى توينبي أن مبدأ التحدي والاستجابة يمكن استخدامه لتفسير التغيرات في المجتمعات، سواء في تقدمها أو تأخرها، ويعتبره قانوناً شاملاً يمكن الاعتماد عليه في فهم التطورات التاريخية[1].

[1] هاشم يحي الملاح، المفصل في فلسفة التاريخ، دراسة تحليلية في فلسفة التاريخ التأملية والنقدية، ص 389.

ثالثا: التحديات وشروط الاستجابة الناجحة

يكتسب الحديث عن التحديات أهمية خاصة عند دراسة نمو وتفكك الحضارات، لأن مساراتها تعتمد على كيفية استجابة المجتمعات لهذه التحديات ومدى فعالية تلك الاستجابات. قد يعتمد نجاح أو فشل الاستجابة على شدة التحديات وقوتها. فبعض التحديات تحفز استجابات خلاقة، بينما توجد تحديات قاسية جداً قد تستسلم لها المجتمعات دون مقاومة.

1) تواتر التحدي والاستجابة:

بالنسبة لتوينبي، لا تعني الاستجابة الناجحة تجاوز التحدي مرة واحدة ثم الخلود إلى الراحة، لأن التحديات تستمر في الظهور وتزداد شدة وقوة. لذلك، يجب على المجتمع أن يعدل باستمرار استجابته لتتوافق مع قوة التحدي، مما يمكّنه من مواكبته. وقد قال توينبي: "يتحقق التقدم الحضاري عندما يجيب فرد أو أقلية أو مجتمع بأسره على تحدٍ، بإبراز استجابة لا تقتصر فقط على مواجهة التحدي، بل تعرّض المستجيب إلى تحدٍ جديد يتطلب استجابة أخرى." يرى توينبي أن التحدي الملائم هو الذي يطلق الطاقات المبدعة لدى بعض المجتمعات، ويجعلها دائماً في حالة تأهب، حيث "يتجلى جوهر ارتقاء الحضارات في وثبة تحمل الفريق المتحدي إلى التوازن الذي تتسم به الاستجابة الناجحة، ثم تتجه منه إلى وضع غير متوازن يمثل تحدياً جديداً يتطلب استجابة مماثلة[1]".

[1] نبيل مسعيد ، فلسفة الحضارات عند ارنولد توينبي ، مجلة الإحياء ، المجلد 21 ، العدد 28 ، جانفي 2021 ، ص 805

2) إيقاع التحدي والاستجابة:

وفقاً لتوينبي، تواجه كل حضارة تحديات تستجيب لها بشكل مناسب، وتستمر هذه الاستجابات الناجحة في مواجهة التحديات المستقبلية. يستمر هذا الوضع حتى يظهر تحدٍ تعجز الحضارة عن مجابهته، وهنا ينتهي عهد الارتقاء ويبدأ عهد الانهيار. يعتقد توينبي أن هذه العملية تحدث وفق إيقاع معين. كلمة "الإيقاع" في الإنجليزية مشتقة من الكلمة اللاتينية"rhythmus" ، والتي تأتي بدورها من الكلمة اليونانية"rhuthmos" ، وتعني الجريان والتدفق والتواتر بين الظواهر، مثل تعاقب الفصول وأمواج البحر وترتيب الألحان في صيغة موسيقية معينة. يتسع معناها في الإنجليزية ليشمل كل ما يتحرك باستمرار، وكل ما يحمل معنى التكرار والتناوب. أدخل توينبي هذا المفهوم في منظومته الفكرية بعدما لاحظ وجود تذبذب في حركة الحضارات والعوامل التي تؤثر على نموها وتراجعها، يشبه الإيقاع الذي يصدر عن حركة البندول، خاصة في الصراع القائم بين التحدي والاستجابة[1].

3) التحدي المثالي:

يرى توينبي أن التحدي المثالي، الذي يسهم في ظهور الحضارة، يجب أن يكون على مستوى معين من الشدة. ويشير إلى أن التحديات القوية جدًا قد تكون مدمرة وتحجب أي حركة للتعامل معها. لذا، التحدي الملائم هو الذي يكون في الوسط بين القوة الزائدة والضعف الفاحش، ما يُعرف بالوسط الذهبي أو الوسيلة الذهبية كما وصفها أرسطو. هذا التحدي يُحفز دون أن يكون مُخيفًا

[1] أرنولد توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ج 1، مرجع سابق، ص 401

جدًا لدرجة تسبب اليأس، ولا ينبغي أن يكون ضعيفًا لدرجة تؤدي إلى الكسل. يجدر بنا استعادة حكمة القديمة التي تقول "لا إفراط ولا تفريط"، وهذا يعني الاعتدال في مواجهة التحديات[1].

[1] نبيل مسعيد، فلسفة الحضارات عند ارنولد توينبي، مرجع سابق، ص 806

خلاصة الفصل:

في ختام هذا الفصل، يمكن القول أن الحضارة ظاهرة إنسانية معقدة ومتعددة الأوجه، لا يمكن حصرها في تعريف واحد محدد. فهي نتاج التفاعل الإنساني مع البيئة الطبيعية والاجتماعية وثمرة تراكم المعارف والخبرات والقيم عبر العصور. تختلف الحضارات في خصائصها، لكنها تشترك جميعًا في كونها إنجازًا إنسانيًا عظيمًا يُساهم في إثراء الحياة وتقدمها.

قدم الفلاسفة تعاريف مختلفة للحضارة، فمنهم من اعتبرها ظاهرة مادية ترتبط بالإنجازات العلمية والمادية، ومنهم من رأى أنها ظاهرة روحية تتمثل في القيم الأخلاقية. هناك أيضًا من اعتبرها مزيجًا من العناصر المادية والروحية، تعبيرًا عن الروح الإنسانية في سعيها للتطور.

الفصل الثاني

مشكلة الحضارة عند

مالك بن نبي

تمهيد:

يُعدّ المفكّر الجزائري مالك بن نبي من أهمّ رواد الفكر الإسلامي في القرن العشرين، وقد اهتمّ بشكل كبير بمسألة الحضارة، ودرس أسباب نهوضها وسقوطها.

يرى مالك بن نبي أنّ الحضارة ليست مجرّد تطور ماديّ أو تراكم ثقافيّ، بل هي مشروع حضاريّ شامل يتأسّس على منظومة قيّمية وروحية، ويُعبّر عن هوية الأمّة ورسالتها.

وقد خصّص مالك بن نبي العديد من مؤلّفاته لدراسة مشكلة الحضارة في العالم الإسلامي، حيث لاحظ أنّ هذا العالم يعاني من أزمة حضارية عميقة، تتمثّل في التخلّف العلميّ والتكنولوجيّ، والضعف السياسيّ والاقتصاديّ، والانحراف الثقافيّ والأخلاقيّ.

ويُرجع مالك بن نبيّ أسباب هذه الأزمة إلى عوامل متعدّدة، منها الاستعمار الغربيّ، والابتعاد عن القيم الإسلاميّة، وتقليد الحضارة الغربية بشكل أعمى.

ويسعى مالك بن نبيّ من خلال تحليله لمشكلة الحضارة إلى تقديم حلولٍ جذريةٍ لنهضة العالم الإسلاميّ، وتثبيت هويّته الحضارية، وبناء حضارةٍ إسلاميةٍ جديدةٍ تُساهم في تقدّم الإنسانية.

ولهذا سوف نتطرق في هذا الفصل الى مبحثين:

المبحث الأول: مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي.

المبحث الثاني: المحاور الكبرى للحضارة في فكر مالك بن نبي.

المبحث الأول: مفهوم الحضارة في فكر مالك بن نبي

جاءت فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي بأبعادها العميقة والشاملة، حيث يرتكز فهمه على مفهوم متعدد الأبعاد يجمع بين الجوانب الثقافية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية. إلا أن فكر مالك بن نبي يتجاوز النظرة التقليدية للحضارة باعتبارها مجرد تطور مادي أو تقدم تقني، بل يركز على الأبعاد الروحية والإنسانية أيضًا. من هنا، يُعَدُّ مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي استجابة للتحديات الحديثة ولحاجات الإنسان الشاملة، حيث ينظر إليها على أنها نتاج لعملية تفاعلية بين الفرد والمجتمع، وتجسيد للقيم والمبادئ التي يتبناها المجتمع في مسار تطوره المستمر.

المطلب الأول : تعريف الحضارة عند مالك بن نبي

مالك بن نبي، الفيلسوف الجزائري البارز، قدم تعاريف متعددة لمفهوم الحضارة في مجموعة كتبه التي جمعها تحت عنوان "مشكلات الحضارة". في كتاب "وجهة العالم الإسلامي"، استعرض مالك بن نبي تفاصيل تعريفه للحضارة، بينما في كتاب "ميلاد المجتمع" قدم منظوره حول جوانب الحضارة ومكوناتها. كما استعرض في كتاب "آفاق جزائرية" تصوره للحضارة من خلال منظور جزائري محلي، وفي كتاب "مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي" ناقش بن نبي الأفكار والقيم التي تشكل أساس الحضارة الإسلامية. تمثل هذه الكتب مساهمات فريدة من نوعها في فهم وتحليل مشكلات الحضارة، حيث استعرض بن نبي من خلالها تعاريفه المتعددة والمتعمقة لمفهوم الحضارة وتأثيراتها على التطور الإنساني والاجتماعي في عدة سياقات ثقافية وتاريخية.

في كتاب "وجهة العالم الإسلامي"، يعتبر مالك بن نبي الحضارة "كل دورة محدودة بشروط نفسية زمنية خاصة بمجتمع معين فهي حضارة بمدة الشروط".[1]

[1] مالك بن نبي، وجهة العالم الاسلامي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، سورية، ط 5، 1986، ص 26م

وفي كتاب "ميلاد المجتمع"، يُفسر مالك بن نبي معنى التحضر بأنه عملية تعلم الإنسان كيفية التعايش في مجتمع وفهم أهمية العلاقات الاجتماعية في تنظيم الحياة البشرية لأداء دورها التاريخي[1].

أما في كتابه "آفاق جزائرية"، يُعرِّف مالك بن نبي الحضارة على أنها مجموعة من الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين توفير المساعدة الضرورية لكل فرد في مختلف مراحل حياته، منذ الطفولة حتى الشيخوخة.[2] كما يُظهر في هذا الكتاب أن الحضارة هي شكل نوعي خاص بالمجتمعات النامية، حيث يعكس هذا الشكل النوعي استعداد تلك المجتمعات لأداء وظيفة معينة، وهو ما لا يكون المجتمع المتخلف قادرًا على التكيف معها، سواء من حيث الرغبة أو القدرة أو الأفكار أو الوسائل المتاحة[3].

وفي كتابه "مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي"، يعرِّف مالك بن نبي الحضارة بأنها القدرة على أداء وظيفة محددة أو مهمة معينة. ويُظهر في نفس الكتاب أن الحضارة تمثل جملة من العوامل المعنوية والمادية التي تتيح لمجتمع ما توفير جميع الضمانات اللازمة لتقدم كل فرد من أعضاءه[4].

هو مالك الحاج عمر بن لخضر بن مصطفى بن نبي، ولد عام 1905م بقسنطينة، وهو مفكر اسلامي وفيلسوف اجتماعي اهتم بمشكلات الحضارة واصولها وعوامل نشأتها و أفولها، توفي سنة 31اكتوبر 1973م

[1] مالك بن نبي، ميلاد المجتمع، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، سورية، ط3، 1986، ص94.

[2] مالك بن نبي، آفاق جزائرية، ترجمة: الطيب شريف، مكتبة النهضة الجزائرية د ط، د ت، ص46-47 .

[3] المصدر نفسه، ص96

[4] مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الاسلامي، ترجمة، بسام بركة وأحمد شعبو، دار الفكر دمشق، سورية، ط 9، 2009، ص 42.

من التعاريف السابقة التي قدمها مالك بن نبي للحضارة في كتبه، يظهر أنه لم يقتصر على جانب واحد من مفهوم الحضارة، بل جمع بين الجوانب المادية والمعنوية. وهذا ما يميزه ويميز نظرته إلى الحضارة، حيث يربط بين البنية المادية والقيم الروحية في تعريفه. ونتيجة لهذا النهج، فقد قام مالك بن نبي بالتمييز بين مفهومي الحضارة والمدنية، إذ يرى أن الحضارة تتجاوز مجرد البنية المدنية لتشمل العوامل الروحية والثقافية التي تحدد هوية المجتمع وتوجه تطوره[1].

من جهة أخرى، كان مالك بن نبي يسعى من خلال تعريفه للحضارة إلى دفع تنمية العالم الإسلامي نحو بناء حضارة تستمر وتتطور على المدى الطويل. يؤكد على أن عملية بناء الحضارة يجب أن تشمل عوامل تضمن استمراريتها وتجددها بعد تأسيسها[2].

المطلب الثاني: عناصر الحضارة عند مالك بن نبي

مالك بن نبي لم يقتصر على التحديد التنظيري للحضارة فحسب، بل ربطها بعناصرها الأساسية التي لا يمكن للحضارة أن تكون مكتملة إلا بها. يشير مالك بن نبي في مؤلفاته إلى أن الحضارة، في جوهرها الأساسي، تتكون من الإنسان والتراب والزمن، بالإضافة إلى الثقافة التي تُعتبر وسيلة لتحريك الإنسان وتطويره عبر القنوات الأربعة:

1/ المبدأ الأخلاقي، 2/ الذوق الجمالي، 3/ المنطق العملي، و4/ التقنية.

يرى مالك بن نبي أن مسار الحضارة ينبغي أن يتأرجح بين القوة والضعف، الدفع والهون، الصعود والهبوط، وذلك حسب مدى تمحور المجتمع حول الأفكار أو الأشياء المحيطة به. ويؤكد أن لكل حضارة نمطها وأسلوبها الخاص وخياراتها المميزة.

[1] حسين يوسف، موفق بن نبي مالك من الفكر الغربي الحديث، دار الخلدونية، القبة، الجزائر ، ط 1 ، 2010 ، ص244

[2] الخطيب سليمان أسس مفهوم الخضارة في الاسلام ، دار الزهراء والاعلام الغربي، مصر، ط 1 ، 1986 ، ص 244

وقد صاغ مالك بن نبي هذه العوامل التي تشكل الحضارة بالمعادلة التالية:

ناتج حضاري = إنسان + تراب + وقت

ومع ذلك، لا تظهر النتيجة المثمرة لهذه المعادلة الا عندما يكون هناك مفاعل أو مركب يدمج عناصر الحضارة ويمنحها الغاية المطلوبة. ويعتبر هذا المفاعل الحاسم هو الدين أو الفكرة الدينية، أو العنصر الأخلاقي كما أطلق عليها. وسواء كان هذا الدين سماويًا بحق كما في الإسلام، أو كانت عقيدة أو مبدأ يحظى بالاحترام والتبجيل من قبل أتباعه[1].

أولا: الإنسان

قبل أن ننتقل إلى دراسة العلاقة بين الإنسان والحضارة، دعونا نتأمل لحظات في مسار الحضارة وتطور البشر من الحالة البدائية إليها. يوفر هذا التصور اللطيف لمسيرة الحضارة رؤية واضحة تسهل علينا فهم موضوع الحركة الحضارية. يشير المفكر الفرنسي النابه "سان سيمون" إلى أن البشر كانوا في البداية أشتاتًا متفرقين، ثم تجمعوا في الأسر والجماعات البدائية التي عاشت لفترة طويلة في حالة بدائية. خلال هذه الفترة، تطورت الجماعات من مرحلة جمع الطعام إلى صناعته، واستخدام النار، وصناعة الفخار، وغيرها، وفي نفس الوقت تنظمت اجتماعيًا بطرق بدائية. ويُشير "سان سيمون" إلى أن بعض الجماعات قد تظل عالقة في هذه الحالة دون تقدم، وحتى في يومنا هذا، هناك جماعات بشرية تعيش في هذا المستوى البدائي[2].

[1] محمد العبدة، مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي، الإسلام اليوم، الخميس 28 ربيع الأول 1424 الموافق 29 مايو 2003.

[2] حسين مؤنس، الحضارة: دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، مجلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ،1978م، ص 38

يعتبر الإنسان محور التغيير وأداته الحاسمة، ولذا يجب بناء شخصية الإنسان الجديدة والقوية من خلال فهمه لذاته وللآخرين، والتوعية بدوره الفردي والاجتماعي، والايمان بأهمية رسالته في الحياة. ولا يمكن تحقيق هذا إلا من خلال التركيز على التجديد والتغيير، خاصة في النواحي النفسية للإنسان في عصر ما بعد الموحدين. فعملية التغيير تنبع من الداخل، وتكمن معجزتها في نفسية الفرد بدرجة أكبر من العوامل الخارجية. وتغيير نفسية الفرد يعني تحول طبيعة علاقاته مع المشكلات التي يواجهها، والتخلص من تصوراته السطحية والمحدودة.

ينبغي لهذا الإنسان الجديد أن يكون على دراية بذاته دون تهويل أو تحجيم، وباستخدام عقلانية موضوعية تسمح له بالتقييم والتحليل الشيء الذي يعود عليه بالفائدة. وينبغي له أن يتعرف على الآخر دون تحميله عقدة الرفض أو التعجب، بل بطريقة موضوعية تكشف حقيقته بإيجابياته وسلبياته. ذلك ليجد مكانه المناسب في خريطة التطور الحضاري للمجتمعات والأمم. بعد ذلك، يسعى الإنسان لتعريف الآخر بذاته، من خلال السعي لفهم حاجياته الإنسانية وتلبيتها، وذلك من خلال إيجاد آليات فعالة للتواصل وخدمتها[1].

الفرد كعامل أساسي للحضارة، يحمل قيمتين:

1/قيمة طبيعية و2/قيمة اجتماعية:

القيمة الطبيعية موجودة في كل فرد، تتجلى في تكوينه البيولوجي، وتتمثل في استعداده الفطري لاستخدام قدراته وموارده الطبيعية في بناء الحضارة.

[1] محمد لعاطف، مقومات النهوض الحضاري عند مالك بن نبي، مركز الأصالة للدراسات، شبكة معرفية: www.veecos.net، الأربعاء 08 يونيو 2011، تاريخ الزيارة: 15-03-2024.

أما القيمة الثانية، وهي القيمة الاجتماعية، فتكتسبها الفرد من محيطه الاجتماعي. تتجلى هذه القيمة في الوسائل والمسارات التي يجدها في إطاره الاجتماعي لتطوير شخصيته، وتنمية مواهبه، وتهذيبها. وتقوم الهيئات الاجتماعية بدور مهم في هذه العملية من خلال تقديم الدعم والتوجيه للفرد، سواء كان ذلك من خلال المدارس، أو المستشفيات، أو الجهات الإدارية التي تعمل على تعزيز مصالحه وتحقيق طموحاته[1].

ثانيا: التراب

يعتبر مالك بن نبي التراب أحد العناصر الثلاثة التي تشكل الحضارة، حيث ينظر إليه على أنه عنصر مهم يجب دراسته واعتباره عاملاً من عوامل الحضارة، خاصة عندما يتمتع المركب الديني بقدر كافٍ من التركيب. وتعني التراب هنا القيمة الاجتماعية المستمدة من قيمة المالكية، حيث يعكس ازدهار الحضارة وتقدمها جودة التراب. وفي سياق الإسلام، يمكن رؤية مدى انحطاط التراب بناءً على تأخر القوم الذين يعيشون فيه، حيث يتمثل التراب في درجة التقدم الحضاري والمستوى الاجتماعي للأمة[2].

ما يروّج له "مالك بن نبي" ليس مجرد مشكلة بل مأساة حقيقية، حيث تجف الأراضي الخضراء وتتخلى عن سكانها، مارة بأمراض الفقر والجوع، ويجدون أنفسهم متيمين في صحاري قاحلة، حيث لا يجدون طعامًا إلا من بضعة أشجار النخيل، ولا ماء إلا من بضع قطرات من المطر. هذا المصير المحتوم لأراضينا الخصبة يشبه إلى حد كبير مأساة "برقة" التي غزتها الرمال منذ آلاف السنين.

[1] مالك بن نبي، شروط النهضة، دار الفكر، دمشق، 1986م، ص 145-146.

[2] مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع السابق، ص 131

من وجهة نظر "مالك بن نبي"، يعتبر سكان الأرض ردة فعلهم تجاه هذا الغزو كونًا من أهل الخوف والضعف. فقد هرب سكان البوادي الرحالة، الذين فقدوا أراضيهم وماشيتهم التي كانوا يعتمدون عليها، وظلموا محرومين من كل شيء، حتى باتت لديهم فقط الدواب التي يمكنهم ركوبها للهروب. والآن، يجدون أنفسهم مشتتين وضائعين بين الصحاري الجافة التي تتلاشى تحت أقدامهم، وبين المدن الساحلية التي ترفض استقبالهم أو تبتلعهم، فتجعل منهم أشخاصًا مهمشين ومحرومين من الانتماء[1].

ثالثا: الوقت

في ساعات الخطر في التاريخ، تتداخل قيمة الزمن مع غريزة البقاء، حيث تكون الحاجة الملحة للبقاء تفوق أهمية الزمن. في هذه اللحظات التي تشهد فيها انتفاضات الشعوب، يفقد الوقت قيمته المالية، ويختفي تمامًا من مفهوم العدم، بل يصبح جوهر الحياة الذي لا يُقدَّر بثمن[2].حيث يندمج الزمن داخل إطار التطور العلمي والفني بدقة، حيث يتلاقى اكتشاف الظاهرة الكهربائية في نهاية القرن الثامن عشر مع تطبيقها في مجال الإنارة حوالي منتصف القرن التاسع عشر. يعتبر الزمن الركيزة الأساسية التي يقوم عليها هذا التطور، حيث يشكل تسلسل الزمن محركاً أساسياً للتقدم والتطور في هذه المجالات[3].

وفي اللحظات التي لا يُستخدم فيها الوقت للترفيه أو تحقيق المتع الزائلة، بل يصبح ضرورياً للبقاء أو تحقيق الخلود والتغلب على الأخطار، هنا يدرك الناس فجأة قيمة الساعات التي تمضي ولا تعود. في هذه اللحظات، لا تكون الثروة أو السعادة أو الألم هي الأمور الحيوية، بل الاهتمام

[1] المرجع نفسه، ص 132.

[2] المرجع نفسه، ص 139

[3] مالك بن نبي القضايا الكبرى، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2000م، ص 55

يتجه نحو الوقت نفسه. يتحدث الناس في هذه الأوقات عن "ساعات العمل"، أو الوقت الذي يُعتبر العملة الوحيدة التي لا تفقد قيمتها، ولا تستعاد إذا فقدت. فالمال الذهبي يمكن أن يفقد ويُسترد، لكن لا يُمكن لأي قوة في العالم تدمير دقيقة، أو استعادتها بمجرد فواتها[1].

الزمن هو نهر قديم يجتاز العالم، يروي في أربع وعشرين ساعة قصة كل شعب وحقل عمله. ومع ذلك، تلك الساعات التي تصبح تاريخًا هنا وهناك، قد تختفي تمامًا إذا مرت فوق رؤوس لا تسمع صوت تدفقها. عندما نقيس الزمن بمقياس الساعات المفقودة، فإن القرون لا تمثل قيمة، ولا تُعادل حتى ألف سنة[2].

وبتحديد مفهوم الزمن، يتضح معنى التأثير والإنتاج، وهو المعنى الحاضر في حياتنا الذي يفتقر إليه، وهو المفهوم الذي لم نحققه بعد. إنه الزمن الذي يتجلى في تشكيل الأفكار والأنشطة، في بناء المعاني والأشياء[3].

الحياة والتاريخ يتبعان الزمن بشكل حثيث، وغالبًا ما نجد أن قطارهما يمر من دون أن ننتبه، لذا فإننا بحاجة ماسة إلى تنظيم الوقت بدقة، واتخاذ خطوات فاعلة لتعويض تأخرنا. يمكننا تحقيق ذلك من خلال تحديد المنطقة الزمنية التي تتناسب مع تدفق الساعات الأربع والعشرين التي تمضي يوميًا.

[1] مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 139-140

[2] مالك بن نبي، بين التيه والرشاد، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2002م، ص 68.

[3] نفسه، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 140

المطلب الثالث: مراحل الحضارة عند مالك بن نبي

مالك بن نبي كان يركز أثناء دراسته على مقارنة الحضارات الثلاثة: الإسلامية، والإباضية، والأخرى. وكانت فكرته الرئيسية هي استنباط مفهوم "الدورة" من نظريته حول الأجيال الثلاثة، وهو ما اعتبره مساهمة جديدة في الفكر التاريخي. يرى مالك بن نبي أن الحضارات تتباين بناءً على فروقاتها، وتنتقل من مجتمع لآخر لتمارس دورتها الحضارية. هو يرتبط العناصر الحضارية بالبعد الديني، مشددًا على أن كل مجتمع يتميز بسماته ومواصفاته الفريدة. يؤكد أيضًا على أهمية الشروط النفسية والاجتماعية في تحديد مسار الحضارات، وكيف تتطور وتتغير عبر الزمن والمكان. لذا، فإن فهم مالك بن نبي للحضارات يركز على العوامل الروحية والاجتماعية التي تميز كل حضارة عن غيرها، وكيف تستمر في تطورها وتجدد نفسها عبر الأجيال[1].

أولا: مرحلة الروح

وتسمى بمرحلة الصعود، وهي المرحلة التي يعتبرها مالك بن نبي كنقطة بداية لتأثير الفكرة الدينية على النفسية الإنسانية. تبدأ هذه المرحلة منذ نزول أول آية في القرآن الكريم في غار حراء، وتُلمس تأثيرها في سلوك الفرد الذي يبدأ بتنظيم أفكاره وتحركاته وفقًا لمبادئ الدين، دون أن يتم إجباره عليها. يصف مالك بن نبي هذا التأثير بأنه تنظيم شرطي للأفكار داخل إطار علاقة وظيفية، حيث تنظم الأفكار لكن دون القضاء عليها تمامًا.

ومن خلال التحول التربوي الذي ينطلق من مرحلة الروح، يحدث تحسن في سلوك الإنسان وتجديد في نفسيته، مما يؤثر بشكل إيجابي على حركة المجتمع وعلاقاته الاجتماعية. وتسهم هذه

[1] أرفنير علي، إشكالية النهضة بين مالك بن نبي وسيد قطب، رسالة لنيل شهادة الماجستير في فلسفة الحضارة، تحت إشراف معيرش موسى قسم العلوم الإنسانية والإجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، ص 138

المرحلة في بروز علاقات اجتماعية متناغمة ومتفاعلة بين أفراد المجتمع، مما يعزز التوازن الاجتماعي والروحي فيه. ومن أبرز الآثار الإيجابية التي تترتب على هذه المرحلة هي تحسين نفسي واستقرار مجتمعي يعزز التفاعل والتكامل بين أفراده[1].

بفضل التغييرات والتحولات التربوية التي أثرت في هذه المرحلة، تم تحسين سلوكات وتصرفات الأفراد وتجديد نفسيتهم وتنظيمها وضبطها بشكل أفضل. كما أن هذا التحول أثر بشكل كبير على حركة المجتمع، حيث بدأت تظهر علاقات اجتماعية متفاعلة ومتناغمة بين أفراده، مما أدى إلى تشكيل شبكة علاقات اجتماعية تعزز التفاعل والتكامل بينهم: «فالعلاقة الروحية بين الله والإنسان، هي التي تلد العلاقة الاجتماعية، وهذه يبررها تربط ما بين الإنسان وأخيه الإنسان فعلى هذا يمكننا أن ننظر إلى العلاقة الاجتماعية والعلاقة الدينية مع من الوجهة التاريخية على أنها حدث ومن الوجهة الكونية على أنها عنوان على حركة تطور اجتماعي واحد».[2]

ثانيا: مرحلة العقل

هذه المرحلة هي الثانية في دورة الحضارة، حيث يتقدم الفرد بكل قوته ويتولى مسؤولية القيادة، وبالتالي يسيطر على جميع الخصائص والملكات. يتسم هذا الوقت بانتشار وظهور أكثر للفكرة الدينية، مما يسهم في تطور المجتمع وتقويته، ويزيد من نموه وازدهاره، حيث تتطور وتتنامى علاقاته الاجتماعية ويسير في مرحلة الازدهار التي تتميز بالابتكار والإبداع في مختلف المجالات.

[1] مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 76

[2] مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الاسلامي، مرجع سابق، ص 28

ومع تقدم وتطور العلوم والفنون، ينعكس ذلك على نمو الحضارة وامتدادها، مما يؤدي إلى تحول دور "الفكرة الدينية" وتقلص فاعليتها في السيطرة على العقل. ينتج عن ذلك تحرر الغرائز وانتشارها، مما يؤدي في نهاية المطاف إلى تفكك المجتمع وعلاقاته. يظهر بشكل واسع ظواهر الظلم والفساد والتخلف، مما يسفر عن هدم العمران والبنى الحضارية المبنية عليها: «فدورة من دورات الحضارة تولد في بعض الظروف النفسية الزمنية توقفت تلك الدورة لتبدأ أخرى في ظروف جديدة بدورها إلى ظروف مختلفة. فهذا هو القانون الذي خط على مراتين خلال التاريخ ذلك الطريق الصاعد، الطريق الذي منحته البشرية في بطء وروية، وبذلك تمتزج غاية التاريخ بغاية الإنسان».[1]

من خلال ما سبق يتبين من نظرية مالك بن نبي حول دورة الحضارات يتمحور حول تأثير العوامل الروحية والاجتماعية على تطور وتغير الحضارات عبر الزمن. يبرز أن الحضارات تتباين وتتطور بناءً على فروقاتها الفريدة، مما يؤدي في بعض الأحيان إلى مراحل صعود وازدهار وأخرى من تراجع وتفكك. تشير نظريته إلى أن هذه الدورات الحضارية تستند إلى تحولات نفسية واجتماعية في المجتمعات، مما يظهر أهمية الاستجابة والتكيف مع التحديات للحفاظ على الازدهار والتطور المستدام. في النهاية، يركز مالك بن نبي على التوازن بين العوامل الروحية والعقلية في تحديد مسارات الحضارات وتجديدها عبر الأجيال.

ثالثا: مرحلة الغريزة

في مرحلة السقوط والانهيار الحضاري، يتم تحريك الغرائز بشكل كامل، مما ينتج عنه انتشار وانتشار واسع للغرائز وتحريرها في المجتمع. يصل الأمر إلى نهاية دور "الفكرة الدينية" نتيجة لعجزها عن أداء وظائفها بفعالية، بسبب انحلال البنية الأخلاقية للمجتمع وتفككها. يتحرر

[1] مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الاسلامي، مرجع سابق، ص178

الأفراد وتظهر السلوكيات السلبية بشكل واضح، مما يؤدي في النهاية إلى سقوط الحضارة وهدمها وانتهائها: «وعندما يبلغ هذا التحرر تماما الغريزة التي تكشف عن وجهها تماما وهنا تنتهي الوظيفة الاجتماعية للفكرة الدينية" التي تصبح عاجزة عن القيام بمهمتها تماما في مجتمع منحل يكون قد دخل نهائيا في ليل التاريخ وبذلك تتم دورة الحضارة»[1]

يمكن القول إن الدورة الحضارية عند مالك بن نبي تتكون من ثلاث مراحل رئيسية: الروح، العقل، والغريزة. في المرحلة الأولى، وهي مرحلة الروح، يكون كل جوانب الحضارة تحت سيطرة الروح، مما يعكس الحالة الكاملة والتوازن الداخلي.

أما في المرحلة الثانية، فتكون كل الخصائص والملكات تحت سيطرة العقل، مما يعبر عن حالة التفكير والتحليل والتنظيم.

أما المرحلة الثالثة، فتمثل نهاية تحليل سلطة العقل والروح، حيث تتحرر الغرائز من القيود والتحكم، مما يجعل النشاط المشترك والتعاون في المجتمع أمرًا مستحيلاً. يعتبر مالك بن نبي أن هذه المرحلة تساهم في دورة التاريخ وحركته، وتجعل الحضارة تمر بحالة من التعاقب والتبادل المستمر.

[1] مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 69

المبحث الثاني: المحاور الكبرى للحضارة عند مالك بن نبي

المطلب الأول: مشكلة الحضارة

مالك بن نبي يؤكد في نظريته على طبيعة اجتماعية للإنسان، حيث يسعى دائمًا من خلال أفعاله لتحقيق الروح الاجتماعية التي تحفزه غرائزه الفطرية. تلك الميزة الاجتماعية تلبي حاجياته الأساسية، وبالتالي فإنه يحتاج بشكل ملح إلى إقامة آليات الاندماج الاجتماعي مع أفراد جنسه. هذا الاحتياج يدفعه إلى السعي لوجود وسائل فعالة للتواصل والتفاهم، سواء على المستوى اللغوي أو الفكري أو الاجتماعي أو الثقافي. من خلال هذه الآليات، يتشكل جوهر المجتمع وتنطلق عمليات التفاعل والتكامل بين أفراده.

لا يمكن للمجتمع أن يستقر ويزدهر إلا من خلال الفاعلية الثقافية، وتحقيق هذه الفاعلية الثقافية يتطلب الممارسة المستمرة والحقن الثقافي المستمر. أي تقاعس في عملية نقل الثقافة وزرعها بشكل مستمر في نسيج وهيكل المجتمع سيؤدي إلى تخلفه وبدائيته، وسيسوده الهمجية والفوضى، قائلا: « ... إنني أؤمن بالحضارة على أنها حماية للإنسان، لأنها تضع حاجزاً بينه وبين الهمجية... ».[1]

إذا غاب العمل الحضاري والاجتماعي على المستوى الفردي والجماعي، فإن ذلك سيؤدي بالضرورة إلى تراجع الإنسانية وعدمية الإنسان. سيظهر موطن الخلل في عالم الأفكار والأشياء،

[1] قادري محمد الطاهر، مفهوم الإصلاح الحضاري عند مالك بن نبي ، مجلة الحقوق والعلوم الانسانية، المجلد 12، العدد 01، المركز الجامعي بالجلفة ، ص 252.

مما يؤدي إلى فقدان الاتزان والتوازن في الحياة الفردية والجماعية لأن « ...الحضارة هي التي تنقل الإنسان إلى شكل من أشكال الحياة الراقية... »[1]

فالحضارة تعتبر سلمًا وحماية للإنسان والإنسانية، فهي تحافظ على حقوقهم وحرياتهم وتلبي حاجياتهم وتوفر الأمان لمستقبلهم وحياتهم. تمنح الحضارة ضمانات حقيقية وواقعية لوجود الإنسان، حيث تضمن استمرارية الحياة الثقافية والمدنية والحضارية للفرد والمجتمع، وقد ابتهل المجاهد مالك بن نبي إلى: «أن يكون للمجتمع مجموع الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين أن يقدم لكل فرد من أفراده في كل طور من أطوار وجوده، منذ الطفولة إلى الشيخوخة، المساعدة الضرورية له في هذا الطور أو ذلك من أطوار نموه. فالمدرسة والعمل والمستشفى ونظام شبكة المواصلات والأمن في جميع صوره عبر سائر تراب القطر، واحترام شخصية الفرد، تمثل جميعها أشكالاً مختلفةً للمساعدة التي يريد ويقدر المجتمع المتحضر على تقديمها للفرد الذي ينتمي إليه».[2]

ومهما كانت الضمانات التي يقدمها المجتمع للفرد، سواء كانت في صورة صدقة، أو زكاة، أو كفالة، أو دعم مادي، أو تعليم وتدريب، فإنها تعتبر أنماطًا من الضمانات التي تحافظ على سلامة ورفاهية أفراد المجتمع. يُعتبر حضور الفعل الحضاري في المجتمع مؤشرًا حقيقيًا لمدى تقدمه وتطوره، حيث يتشكل ويتطور عبر الزمن ليصل إلى مراحل الرقي والازدهار. بالتالي، يمكن القول إن المجتمع المتطور تاريخيًا هو الذي يصنع الحضارة، وليست الحضارة سوى: «محصلة

[1] مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، ص 19.

[2] مالك بن نبي القضايا الكبرى، مرجع سابق، ص 43

تفاعل الجهد الإنساني مع سنن الآفاق والأنفس والهداية، من أجل الترقي المعرفي والروحي والسلوكي والعمراني في عالم الشهاد. »[1]

ان الحضارة تُعتبر إنجازًا مستمرًا عبر الزمن التاريخي، حيث تشمل مختلف مجالات الحياة مثل الاقتصاد والسياسة والاجتماع والعسكرية. يؤكد مالك بن نبي على فكرة أن الحضارة تنتج منتجاتها وتبتكرها، ولا يعتبر استيرادها أو نقل معالمها إلى مجتمعات أخرى إنجازًا حضاريًا، لأنها: «هي نتاج فكرة حية تطبع على مجتمع في مرحلة ما قبل التحضر، الدفعة التي تجعله يدخل التاريخ، فيبني هذا المجتمع نظامه الفكري والثقافي طبقاً للنموذج المثالي الذي اختاره، وعلى هذا تتأصل جذوره في محيط ثقافي أصيل تتحكم بدوره في جميع خصائصه التي تميزه عن الثقافات الأخرى، والحضارات الأخرى».[2]

ترتكز الحضارة على ما يحمله الإنسان من عقيدة وفكر، وتتجلى في استخدامه للتراب الذي يحتوي على ضروريات الحياة، بالإضافة إلى استغلاله لعامل الوقت لتحويله إلى ساعات عمل وإنتاج. لذلك، لا يمكننا حل مشكلات الحضارة والتخلف والجهل والتبعية من خلال استيراد منتجات حضارة جاهزة، بل يجب علينا التركيز على حل مشكلات الإنسان والبيئة والاستفادة الأمثل من الوقت.

كما لا يمكن لعناصر الحضارة أن تكون ذات جدوى إلا إذا كانت متحدة تحت رؤية الوازع الديني، الذي يؤثر في روح الفرد وحياة الجماعة. هذا العنصر يبقى المحكم الأساسي في تقدم وتطور الحضارة عبر التاريخ، وهذا ما يؤكده مالك بقوله: «فالحضارة لا تنبعث إلا بالعقيدة الدينية، والحضارة لا تظهر في أمة من الأمم إلا في صورة وحي يهبط من السماء، يكون للناس شرعةً

[1] الطيب برغوت، موقع المسألة الثقافية في إستراتيجية التجديد الحضاري عند مالك بن نبي، ص 10

[2] مالك بن نبي، مشكلة الأفكار، مرجع سابق، ص 49

ومنهاجاً... فكأنما قدر للإنسان ألا نشرق عليه شمس الحضارة إلا حيث يمتد نظره إلى ما وراء حياته الأرضية».[1]

ففكرة الوازع الديني تُعزز الأخلاق الرفيعة في الفرد، ومن خلال هذه الأخلاق ينبعث الحياة المجتمعية المتقدمة. إذا ضاعت الأخلاق، تحررت الغرائز وتفوقت الهمجية، مما يؤدي إلى سقوط الحضارة بسبب تفريغ القيم الروحية. عندما يتحرر الفرد من القيم الروحية، يهتم فقط بالأمور المادية والعدديّة، وبالتالي يستخدم الحضارة كوسيلة للاستعمار والظلم والفساد. يرى بن نبي أن الحضارة تنبع من فكرة دينية، حيث تمر بثلاث مراحل: مرحلة الروح حيث تكون في طور الولادة، ثم مرحلة العقل حيث تنتشر وتتوسع، وأخيرًا مرحلة الغريزة التي تشهد الأفول والتلاشي[2].

المطلب الثاني: مشكلة الثقافة

أولا: مفهوم الثقافة عند مالك بن نبي

أكد مالك بن نبي على أن الإنسان يؤثر في المجتمع من خلال ثلاث مؤثرات رئيسية: الفكر والعمل والمال. لذا، ينبغي علينا التركيز على توجيه الثقافة وتوجيه الجهد العامل وتوجيه استخدام رأس المال والتوجيه عنده هو: «قوة في الأساس وتوافق في السير ووحدة في الهدف، فكم من طاقات وقوى لم تستخدم لأننا لا نعرف كيف نكتلها، وكم من طاقات وقوى ضاعت فلم تحقق هدفها حين زاحمتها قوى أخرى فالتوجيه هو تجنب هذا الإسراف في الجهد وفي الوقت. فهناك

[1] مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 75

[2] المرجع نفسه، ص 98-99

ملايين السواعد العاملة والعقول المفكرة في البلاد الإسلامية صالحة لأن تستخدم في كل وقت. والمهم هو أن ندير هذا الجهاز الهائل في أحسن ظروفه الزمنية».[1]

من منظور ابن نبي، يركز على أن الثقافة هي العنصر الأساسي الذي يؤثر في تشكيل الفرد وتوجهاته، إذ تعتبر المحيط الذي ينمو فيه الفرد وتشكل شخصيته وطباعه، كما تعكس الحضارة التي ينتمي إليها. وبناءً على ذلك، يعتبر الثقافة أكثر من مجرد نظرية في المعرفة، بل هي نظرية في السلوك تحدد سلوك الفرد وتوجهاته الحياتية في المجتمع، وقد عرف ابن نبي الثقافة بأنها: « مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية، التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، وتصبح لاشعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه ».[2]

ثانيا: مقومات الثقافة عند مالك بن نبي

في مجال توجيه الثقافة، يؤكد مالك بن نبي على العناصر الجوهرية اللازمة للثقافة وهي: الأخلاق لتشكيل العلاقات الاجتماعية، والجمال لتطوير الذوق العام، والمنطق العملي لتحديد أشكال النشاط العام، وأخيرًا التقنية أو الصناعة حسب تعبير ابن نبي.

1) الأخلاق:

وهي تعني عند ابن نبي قوة التماسك اللازمة للأفراد هذه القوة التي استطاعت بناء المجتمع الإسلامي الأول والأخلاق دورها في المجتمع هي: « ربط الأفراد بعضهم ببعض، كما يشير إلى ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى:﴿وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: 63]، ومن العجب أن نجد اتفاقا له

[1] مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 78

[2] مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، دار الفكر، دمشق، 2000، ص 78

مغزاه ودلالته وَلَكِنَّ اللَّهَ بين ما توحي به هذه الآية، وبين معنى كلمة "دين (Religion) "في أصلها اللاتيني فهي تعني هنالك " الربط والجمع"».[1]

يوضح مالك ابن نبي أهمية الدين في تنمية الفرد وتمكينه ليؤدي دوره في بناء الحضارة، في قوله: «وهكذا يظهر لنا من وجهة نظر علم النفس أن العنصر الديني يتدخل في تكوين الطاقة النفسية الأساسية لدى الفرد، وفي تنظيم الطاقة الحيوية الواقعة في تصرف (أنا) الفرد، ثم توجيه هذه الطاقة تبعا لمقتضيات النشاط الخاص بهذه (الأنا) داخل المجتمع تبعا للنشاط المشترك الذي يؤديه المجتمع في التاريخ».[2]

2) الجمال:

الجمال، من وجهة نظر مالك بن نبي، له أهمية اجتماعية كبيرة؛ إذ يُعتبر المنبع الذي تتدفق منه الأفكار، ويُنتج من خلال هذه الأفكار أعمال الفرد في المجتمع.لأنه: «لا يمكن لصورة قبيحة أن توحي بالخيال الجميل، فإن لمنظرها القبيح في النفس خيالا أقبح، والمجتمع الذي ينطوي على صور قبيحة، لا بد أن يظهر أثر هذه الصور في أفكاره وأعماله ومساعيه»،[3] لأن أزهد الأعمال لها صلة كبرى بالجمال، فالشيء الواحد قد يختلف تأثيره في المجتمع باختلاف صورته التي تنطق بالجمال أو تنضح بالقبح «ونحن نرى أثر تلك الصورة في تفكير الإنسان، وفي عمله، وفي السياسة التي يرسمها لنفسه بل حتى في الحقيبة التي يحمل فيها ملابس سفره».[4]

[1] مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 88

[2] مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، دار الفكر، دمشق، 1986، ص 74

[3] مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 91.

[4] مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 92

لقد أكد مالك بن نبي وجود صلة وثيقة بين المبدأ الأخلاقي وذوق الجمال، حيث يتكونان في الواقع كعناصر مترابطة ومتداخلة. «علاقة عضوية ذات أهمية اجتماعية كبيرة إذ أنها تُحدّد طابع الثقافة كله واتجاه الحضارة حينما تضع هذا الطابع الخاص على أسلوب الحياة في المجتمع، وعلى سلوك الأفراد فيه».[1]

وقد وجد مالك بن نبي أن اتجاه الحضارة يتحدد في إطار العلاقة بين المبدأ الأخلاقي والتوجيه الجمالي، ويصوغ هذه العلاقة في صورة جبرية مبدأ أخلاقي + ذوق جمال – اتجاه حضارة : .... فالحياة في مجتمع معين قبل أن تتأثر بالفنون والصناعات، أي بالجانب المادي أو الاقتصادي من الحضارة، تتخذ لها اتجاهاً عاماً ولوناً شاملاً»[2].

3) المنطق العلمي:

يعني به مالك بن نبي كيفية ارتباط العمل بوسائله ومعانيه، ويرى أننا: «أحوج ما نكون إلى هذا المنطق العملي في حياتنا، لأن العقل المجرد متوفر في بلادنا، غير أن العقل التطبيقي الذي يتكون في جوهره من الإرادة والانتباه فشيء يكاد يكون معدوما» لهذا ما ينقص الإنسان المسلم حسب ابن نبي ليس منطق الفكرة أو العقل المجرد، ولكن ينقصه منطق العمل والحركة.

لذلك يجب أن تكون الجهود المبذولة في طلب العلم مرتبطة بأهداف عملية، حيث أن الفكرة التي لا تترجم إلى عمل ولا تسعى لتحقيق أثر ونتائج عملية تبقى عبثية وخالية من المعنى: «فالعلم الذي لا يترجمه عمل، يظل ترفا لا مكان له في وطن ما يزال فقيرا في الوسائل والأطر. ففي هذه

[1] نفس المرجع، ص 101

[2] مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 101

المرحلة بالذات لا بد للاهتمامات أن تتركز في البلاد الإسلامية حول مفهوم الفعالية، وعلى الخصوص في مجال التسيير ووسائله الأداة والدولة»[1].

4) التقنية:

أو ما يطلق عليها ابن خلدون بالصناعة، ويُعرف هذا الأخير الصناعة بأنها : « ملكة في أمر عملي فكري، و بكونه عملياً هو جسماني محسوس والأحوال الجسمانية المحسوسة، نقلها بالمباشرة أوعب لها وأكمل، لأن المباشرة في الأحوال الجسمانية المحسوسة أتم فائدة، والملكة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكرره مرة بعد أخرى، حتى ترسخ صورته، وعلى نسبة الأصل تكون الملكة، ونقل المعاينة أوعب وأتم من نقل الخبر والعلم فالملكة الحاصلة عنه أكمل وأرسخ من الملكة الحاصلة عن الخبر، وعلى قدر جودة التعليم وملكة المعلم يكون حذق المتعلم في الصناعة وحصول ملكته» وهي بالنسبة لابن نبي بمثابة وسيلة للفرد تكسبه عيشه، وتساهم في بناء مجده وبالنسبة للمجتمع فهي وسيلة للمحافظة على كيانه واستمرار نموه ويؤكد مالك بن نبي على ضرورة إنشاء مجلس للتوجيه الفني، ليحل المشكلة الخطيرة للتربية المهنية نظريا وعمليا تبعا لحاجات البلاد.[2]

وفي مجال التقنية يعطي مالك بن نبي أهمية كبيرة لعنصر التراب ولكن لا يعني به التراب المنظور له من حيث خصائصه وطبيعته، بل يعني به نظرتنا له من حيث القيمة الاجتماعية، وقيمته الاجتماعية مستمدة من قيمة مالكيه وقيمة أمته وحضارتها لأن تشكيل وبناء الحضارة، يجعل من التراب الذي يُقدّم بصورة فردية مطلقة غذاء الإنسان في صورة استهلاك بسيط: مجالا مجهزا مكيفا تكييفا فنيا يسد حاجات الحياة الاجتماعية الكثيرة، تبعا لظروف عملية الإنتاج.

[1] مالك ين نبي، بين الرشاد و التيه، دار الفكر، دمشق، 2002 ، ص 39
[2] مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 111

المطلب الثالث: مشكلة الافكار

أولا: الحضارة والافكار

إنّ حضارة ماهي نتاج فكرة جوهرية تطبع على مجتمع في مرحلة ما قبل التحضر الدفعة التي تدخل به التاريخ.

ويبني هذا المجتمع نظامه الفكري طبقاً للنموذج الأصلي لحضارته. إنه يتجذر في محيط ثقافي أصلي يحدد سائر خصائصه التي تميزه عن الثقافات والحضارات الأخرى.[1]

بالطبيعة، دور الأفكار في حضارة ما لا يقتصر على الزينة والزخرفة، بل يمتد إلى تكوين الأسس الأساسية للمجتمع وتشكيل هويته الفريدة. يمكن مقارنة دور الأفكار بخارف المدفأة في المنزل؛ فالخارف لا يكتفي بتزيين المكان، بل يكسب أهمية فائقة عندما يتم التحول إلى مرحلة متقدمة من التحضر والتطور الاجتماعي.

فبالنظر إلى تعقيدات المجتمعات في عصور ما بعد التحضر، يصبح من الواضح أن الأفكار تلعب دورًا أكبر من مجرد الزخرفة الثقافية.[2] فالأفكار تصبح محورًا حيويًا لتشكيل قيم المجتمع ومعتقداته، وهي التي توجه السلوكيات وتحدد مسار التطور والتقدم. على سبيل المثال، تعزز الأفكار المبادئ الأخلاقية وتعالج التحديات الاجتماعية والثقافية التي يواجهها المجتمع في زمن الحضارة المتقدمة.

[1] مالك بن نبي، مشكلات الحضارات، دار الفكر، دمشق، سوريا، ص 41

[2] المرجع نفسه، ص 42

ومع تزايد تعقيدات المشكلات والتحديات التي تواجه المجتمعات الحديثة، تصبح الأفكار أداة حيوية لتفكيك هذه القضايا وإيجاد الحلول المناسبة. فهي تسهم في توجيه الأفراد والمجتمعات نحو آفاق جديدة من التفكير والتطوير، مما يعزز الاستقرار والتقدم الشامل للحياة الاجتماعية والثقافية.

في فترة اندماج مجتمع ما في التاريخ، تكتسب الأفكار دورًا وظيفيًا حيويًا؛ إذ تُعد الحضارة القدرة على تحقيق مهام ووظائف معينة تسهم في تطور وتقدم المجتمع. وبما أن الحضارة ليست مجرد زخرفة أو تزيين، بل هي النظام الذي يسهم في بناء وتطوير المجتمعات، فإن الأفكار تلعب دورًا أساسيًا في توجيه هذه القدرة نحو تحقيق الأهداف والمهام المحددة.

عندما يندمج مجتمع في فترة تاريخية معينة، تصبح الأفكار والفلسفات التي يحملها أفراد المجتمع أدوات حيوية لبناء الحضارة وتحقيق الأهداف المشتركة. فالأفكار تمثل الرؤى والتصورات الفلسفية التي توجه سلوكيات الأفراد وتشكل طريقة تفكيرهم وتفاعلهم مع التحديات والمتغيرات الاجتماعية والثقافية.

بالتالي، تكون الأفكار عنصرًا حيويًا في تحقيق الوظيفة الأساسية للحضارة، وهي القدرة على تنظيم الحياة والمجتمع وتحقيق التطور والازدهار. فهي تسهم في توجيه الجهود نحو الأهداف المحددة، وتعزز الابتكار والتغيير لتحسين الحياة والظروف الاجتماعية لأفراد المجتمع.

ثانيا: الافكار والمجتمع تأسس فكر مالك بن نبي على فهم عميق للعلاقة بين الأفكار والمجتمع، وهو قام بتقديم رؤى فلسفية وثقافية تسلط الضوء على هذه العلاقة بطريقة فريدة. إليك خمس فقرات تتحدث عن الأفكار والمجتمع في فكر مالك بن نبي[1]:

[1] مالك بن نبي، مشكلات الحضارات، المرجع نفسه، ص 111

1. يؤمن مالك بن نبي بأن الأفكار ليست مجرد نظريات فلسفية، بل هي قوى دافعة تحدد سلوك المجتمع وتوجه تطوره. ترى كتاباته تأثيرًا عميقًا للأفكار والقيم في تشكيل هويات المجتمعات وتحديد مساراتها التاريخية.

2. ينظر مالك بن نبي إلى المجتمع كمجموعة من الأفراد الذين يتشاركون في قيم ومعتقدات مشتركة، ويعتبر أن الأفكار هي العناصر التي تربط هذه القيم وتعزز الوحدة والانتماء للمجتمع.

3. يركز مالك بن نبي على دور الأفكار في تحفيز التغيير الاجتماعي والثقافي، حيث يعتبرها القوة الحافزة للابتكار والتجديد داخل المجتمعات، وتحفيز الفكر والتطور في العقليات الجماعية.

4. تناول مالك بن نبي مفهوم الحضارة والتحضر من خلال الأفكار، مؤكدًا أن الحضارة لا تقتصر على الإنجازات المادية والتقنية، بل تتجلى في تطور الأفكار والفلسفات التي تشكل نسيج الحياة الاجتماعية والثقافية.

5. يشدد مالك بن نبي على أهمية التفاعل بين الأفكار والمجتمع من خلال الحوار والنقاش الفكري، حيث يعتبر هذا التفاعل مصدر الإثراء والتطور المستمر للفكر الجماعي وتطور المجتمع نحو الأفضل.

خلاصة الفصل:

بعد الاطلاع والخوض العميق في مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وأهم شروطها وعناصرها ومراحلها، يقودنا القول بأن مالك بن نبي اعتمد في بناءه الحضاري على شروط واجب توفرها وهي عنصر الإنسان والتراب والزمن، لأن لهما دور واهمية كبيرة في الإنجاز الحضاري.

الفصل الثالث

فلسفة الحضارة

بين مالك بن نبي

ومعاصريه

تمهيد

لقد حظيت الحضارة باهتمام العديد من الفلاسفة، وذلك باعتبارها أداة لدراسة التاريخ لفهم العوامل التي تساهم في تقدمها وتدهورها. وقد قدم هؤلاء الفلاسفة إسهامات ودراسات قيمة في هذا المجال. ومن بين هؤلاء، تميز مالك بن نبي بفكره الإصلاحي، حيث قام بدراسة ما قدمه الفلاسفة السابقون. من خلال ذلك، يمكننا محاولة إدراك الاختلاف بينه وبين الفلاسفة الآخرين، وذلك عبر تحليل ما تبنوه في دراساتهم. كما سنتناول أهم الانتقادات التي تعرض لها مالك بن نبي بناءً على أفكاره ومساهماته الفكرية.

وانطلاقا مما سبق قسمنا هذا الفصل الى مبحثين كالآتي:

المبحث الأول: دراسة مقارنة

المبحث الثاني: النهضة العربية الاسلامية بين ابن نبي ومعاصريه

المبحث الأول: دراسة مقارنة

لقد حظيت الحضارة باهتمام العديد من الفلاسفة، وذلك باعتبارها أداة لدراسة التاريخ لفهم العوامل التي تساهم في تقدمها وتدهورها. وقد قدم هؤلاء الفلاسفة إسهامات ودراسات قيمة في هذا المجال. ومن بين هؤلاء، تميز مالك بن نبي بفكره الإصلاحي، حيث قام بدراسة ما قدمه الفلاسفة السابقون. من خلال ذلك، يمكننا محاولة إدراك الاختلاف بينه وبين الفلاسفة الآخرين، وذلك عبر تحليل ما تبنوه في دراساتهم. كما سنتناول أهم الانتقادات التي تعرض لها مالك بن نبي بناءً على أفكاره ومساهماته الفكرية.

المطلب الأول: الدورة الحضارية بين مالك بن نبي وابن خلدون.

من خلال هذا المطلب سنحاول الى التطرق الى اوجه التشابه والاختلاف في مفهوم الحضارة والدورة الحضارية عند ابن خلدون ومالك بن نبي.

الفرع الأول: أوجه التشابه

أولا: العناصر الأساسية للدورة الحضارية لابن خلدون

1. ناتج الحضارة عن العصبية:

- الحضارة تتشكل نتيجة للعصبية[1].

2. مراحل الدولة الثلاث:

- الطور الأول :البداوة.

[1] رأفت غنيمي الشيخ، فلسفة التاريخ، دار الثقافة للنشر و التوزيع، القاهرة، د ط،1988 ، ص51

- الطور الثاني :التحضر.
- الطور الثالث :التدهور[1].

3. تشبيه الدولة بالكائن الحي:

- الدولة تولد وتنمو ثم تهرم.
- عمر الدولة لا يتعدى ثلاثة أجيال.

4. التعاقب الدوري للدولة:

- مراحل الدولة تتعاقب بشكل دوري، مثل دورة حياة الكائن الحي.

ثانيا: العناصر الأساسية للدورة الحضارية عند مالك بن نبي

1. الدولة كظاهرة إنسانية:

- الدولة تشهد انتقالها بين ثلاث مراحل: الميلاد، الأوج، والأفول.

2. المراحل الثلاث للدورة الحضارية:

- مرحلة الروح.
- مرحلة العقل.
- مرحلة الغريزة.

[1] رأفت غنيمي الشيخ، مرجع سابق، ص51

3. استنباط نظرية ابن خلدون:

- مالك بن نبي تأثر بنظرية ابن خلدون حول الأجيال الثلاث.
- صياغة نظرية الدورة الحضارية من منظور مختلف[1].

الفرع الثاني: أوجه الاختلاف

أولا: العناصر الاساسية للحضارة عند ابن خلدون

يرى ابن خلدون ان الحضارة هي عبارة عن:

1. **تمييز بين الضروري والحاجي والكمالي:**

- الضروري أقدم وأسبق من الحاجي والكمالي.
- الضروري هو الأصل، بينما الكمالي فرع ناشئ عنه.

2. **البداوة كأصل للحضارة:**

- البدو هم أصل المدن والحضر.
- الحضر يأتي بعد البدو.

3. **غاية التمدن للبدو:**

- التمدن هو الهدف النهائي للبدوي.

[1] رأفت غنيمي الشيخ، المرجع السابق، ص 51

- يسعى البدوي نحو التمدن وينتهي به الأمر لتحقيقه.

4. **العمران البشري مقابل العمران البدوي:**

- العمران البشري (البدو) يهتم بالضروريات.
- العمران الحضري (الحضر) يتبع الرقي والكمال.

5. **الأسبقية التاريخية للبدو:**

- البدو أسبق وأقدم من الحضر.
- اهتمام البدو بالضروري مقابل اهتمام الحضر بالكماليات.

ثانيا: العناصر الاساسية للحضارة عند مالك بن نبي

يرى مالك بن نبي أن الحضارة هي عبارة عن:

1 . الحضارة هي مجموعة من العلاقات بين:

- **المجال الحيوي البيولوجي** :حيث ينشأ ويتقوى هيكل الحضارة.
- **المجال الفكري** :حيث تولد وتنمو روح الحضارة.

2. **الفارق بين الشكل والمضمون:**

- عند شراء منتجات الحضارة، نحصل على هيكلها وجسدها، لكن ليس روحها.

3. **تعدد التعريفات:**

- مالك بن نبي تناول عدة تعريفات أخرى للحضارة من جوانب مختلفة:

- **الجانب التركيبي** :مكونات الحضارة وأسسها.
- **الجانب الوظيفي** :وظائف الحضارة وأدوارها في المجتمع.
- **التطور التاريخي والاجتماعي** :كيف تتطور الحضارة عبر الزمن والمجتمع[1].

المطلب الثاني: الدورة الحضارية بين مالك بن نبي وتوينبي

من خلال هذا المطلب سنحاول الى التطرق الى اوجه التشابه والاختلاف في مفهوم الحضارة والدورة الحضارية عند توينبي ومالك بن نبي.

الفرع الأول: أوجه التشابه

لا يوجد أوجه تشابه بين نظرية مالك بن نبي ونظرية أرنولد توينبي للدورة الحضارية، إذ تختلف النظريتان في عدة جوانب جوهرية. يركز مالك بن نبي على التفاعل بين المجال الحيوي البيولوجي والمجال الفكري، حيث يعتبر أن الحضارة تولد وتنمو من خلال العلاقات بين هذه المجالات، ويقسم مراحلها إلى الروح، العقل، والغريزة مع التركيز على النمو الروحي والفكري. في المقابل، يعتمد أرنولد توينبي على مفهوم "التحدي والاستجابة"، حيث يرى أن الحضارات تتطور كرد فعل لتحديات بيئية أو اجتماعية تواجهها، ويحدد مراحل متعددة تبدأ من النمو، ثم الذروة، ومن ثم الانحدار والسقوط.

الفرع الثاني: أوجه الاختلاف

أولا: عناصر الدورة الحضارة من وجه نظر توينبي:

[1] مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص43

1. **التحدي والاستجابة:**

- توينبي يركز على دور التحدي والاستجابة في بناء وانهيار الحضارات، حيث يعتبر أن الحضارات تستجيب للتحديات بنجاح أو فشل[1].

2. **مراحل تطور الحضارة:**

- الحضارة تبدأ بالاستجابة للتحديات، ثم تمر بمرحلة النمو والسيطرة المتزايدة على بيئتها بواسطة الأقليات الخلاقة.
- تلي ذلك مرحلة الصعوبات التي تواجه قيام دولة شاملة.

3. **الزوال والتآكل:**

- الحضارة تواجه التفسخ مع مرور الوقت، مما يؤدي إلى مراحل تطورها المختلفة من النشوء إلى الزوال والتآكل.
- تتضمن هذه المراحل عقبات وصراعات تؤثر في استمراريتها وقوتها.

ثانيا: عناصر الدورة الحضارة من وجه نظر مالك بن نبي:

مالك بن نبي يعتبر الحضارة ظاهرة إنسانية تمر بثلاث مراحل رئيسية وهي الميلاد والأوج والأفول. يتكون تطور الحضارة من مرحلة الروح التي تعبر عن بداية الحضارة ونشوئها، ومرحلة العقل التي تشهد تطورًا ورقيًا في فكر الحضارة وثقافتها، وأخيرًا مرحلة الغريزة التي تعبر عن تراجع وتدهور الحضارة بسبب عوامل مختلفة. استنبط مالك بن نبي نظريته من نظرية ابن خلدون، الذي

[1] زياد عبد الكرم النجم، توينبي ونظريته في التحدي والاستجابة، توينبي ونظرية التحدي والاستجابة الحضارة الاسلامية، الهيئة العامة السورية للكتاب، سوريا، ط2 ،2010، ص28

كان متأثرًا بها وبنظريته في الأجيال الثلاث، لكنه صاغها من منظور مختلف وفق تجربته ودراسته للحضارات[1].

المطلب الثالث: الدورة الحضارية بين مالك بن نبي واشبلنجر.

من خلال هذا المطلب سنحاول الى التطرق الى اوجه التشابه والاختلاف في مفهوم الحضارة والدورة الحضارية عند توينبي ومالك بن نبي.

الفرع الأول: أوجه التشابه

لا تشترك نظرية مالك بن نبي ونظرية اشبلنجر في الدورة الحضارية بأي تشابهات، بل تختلفان بشكل كبير في فهمهما لتطور الحضارات. يركز مالك بن نبي في نظريته على مراحل تطور الحضارة المتتالية، بدءًا من الميلاد وصولاً إلى الأوج ثم الأفول، ويعزو هذا التطور إلى الروح والعقل والغريزة. أما نظرية اشبنجلر، فتركز على دور الأفكار والعقائد في تشكيل الحضارات دون التركيز على مراحل زمنية محددة. بالإضافة إلى ذلك، فإن اشبنجلر يعتمد في تحليله على العوامل الفكرية والفلسفية والدينية التي تؤثر في تطور الحضارات، بينما يستند مالك بن نبي إلى دراسة التاريخ والمجتمع لفهم تطور الحضارات.

الفرع الثاني: أوجه الاختلاف

أولا: العناصر الاساسية للحضارة عند اشبنجلر:

1. مراحل تطور الحضارة:

[1] مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق،ص43

- الحضارة تمر بمراحل متتالية تشبه مراحل حياة الإنسان، بدءًا من طفولتها وشبابها ونضوجها وصولًا إلى شيخوختها.

2. **وجهات نظر شبينجلر:**

- يعتبر اشبنجلر أن كل حضارة تمر بمراحل تشمل طفولتها وشبابها ونضوجها وشيخوختها وموتها، لتعود بعد ذلك وتبدأ دورة جديدة[1].

3. **التنظيم والتكرار:**

- يعكس قول اشبنجلر أن كل شيء منظم، حيث يمكن فهم الحضارة وتطورها عبر مراحل الولادة والموت والشباب والشيخوخة، وأن الأوضاع تكرر ذاتها كنماذج حقيقية

أولا: العناصر الاساسية للحضارة عند مالك بن نبي:

الحضارة عند مالك بن نبي تتجلى كمجموعة من العلاقات المترابطة بين المجال الحيوي البيولوجي حيث ينشأ ويتطور هيكلها، وبين المجال الفكري حيث تنشأ وتتطور روحها. هذا التعريف يبرز الجانب الجوهري للحضارة كظاهرة ترتكز على التفاعلات المعقدة بين الأبعاد البيولوجية والفكرية. علاوة على ذلك، يتناول مالك بن نبي تعاريف أخرى للحضارة تتضمن الجوانب التركيبية والوظيفية، حيث يدرس تكوين وهيكلية الحضارة ودورها الوظيفي في المجتمع. كما يلقي الضوء على الجوانب التاريخية والاجتماعية للحضارة، مما يسهم في فهم تطورها عبر العصور ودورها الاجتماعي والثقافي في تشكيل الهويات والعلاقات الإنسانية. تلك التعاريف المتعددة تعكس النظرة

[1] فوزية بريون، مالك بن نبي حياته عصره وحياته، دار الفكر، د ط، دمشق، 2010، ص159

الشاملة لمالك بن نبي نحو الحضارة باعتبارها مظهرًا معقدًا لتفاعلات الحياة البشرية في مختلف الجوانب.

المبحث الثاني: جدلية النهضة العربية بين ابن نبي ومعاصريه.

في ظل التحولات الكبرى التي شهدها العالم العربي في القرن العشرين، برزت جدلية النهضة العربية كموضوع حيوي للنقاش بين المفكرين والمثقفين. كان مالك بن نبي من أبرز من تناول هذه القضية، حيث قدم رؤية متميزة لنهضة المجتمعات العربية والإسلامية، مستندة إلى أهمية الأفكار والقيم. في المقابل، تباينت آراء معاصريه حول أسس النهضة، مما أدى إلى نقاشات غنية ومثمرة حول كيفية تحقيق التقدم والازدهار في المنطقة.

المطلب الأول: العقل الاسلامي في النص الديني بين ابن نبي واركون

تناول كل من محمد أركون ومالك بن نبي قضية العقل الإسلامي من زوايا مختلفة، حيث قدما تحليلات متباينة تنبع من خلفياتهم الفكرية والهدف من نقدهم للنص الديني والفكر الإسلامي. سنستعرض هنا كيف تناول كل من المفكرين هذا الموضوع، ونقارن بين آرائهم.

الفرع الأول: محمد أركون: العقل الإسلامي والنص الديني

النقد التاريخي والفلسفي[1] :محمد أركون كان من رواد النقد التاريخي والفلسفي للنصوص الدينية الإسلامية. استخدم أدوات التحليل التاريخي والفلسفي الحديثة لتفكيك النصوص الدينية وإعادة تفسيرها في ضوء السياقات التاريخية والاجتماعية التي ظهرت فيها. يعتقد أركون أن النص الديني، مثل القرآن والسنة، يجب أن يُفهم في سياقه التاريخي، وأن التفسيرات التقليدية غالبًا ما تتجاهل هذا السياق.

العقل الإسلامي والحداثة :أركون يرى أن العقل الإسلامي يحتاج إلى مراجعة شاملة وتجديد في ضوء التحديات التي تفرضها الحداثة. يدعو إلى إعادة قراءة النصوص الدينية بروح نقدية تُحررها

[1] محمد أركون، الإسلام والعقلانية، دار الساقي، لندن، 1985.

من القراءات الجامدة والمغلقة، ويشدد على أهمية الحوار بين الثقافات والحضارات. كما يؤكد على ضرورة استخدام المناهج الحديثة في تحليل النصوص الدينية، مثل اللسانيات والسيميائيات وعلم الاجتماع.

الفرع الثاني: مالك بن نبي: العقل الإسلامي والنص الديني

النقد الحضاري :مالك بن نبي، من جانبه، قدم تحليلًا حضاريًا للنص الديني. اهتم بدراسة أسباب تراجع الحضارة الإسلامية وكيف يمكن استعادة دورها الريادي. يركز بن نبي على مفهوم "القابلية للاستعمار" ويعتقد أن مشكلة المسلمين تكمن في تدهور العقلية الحضارية. يرى أن النص الديني في الإسلام يحتوي على قيم حضارية قادرة على إحياء الأمة الإسلامية إذا ما تم فهمها وتطبيقها بشكل صحيح.

النص الديني كدافع للحضارة بن نبي يرى أن النص الديني يجب أن يكون دافعًا للنهضة الحضارية، ويؤكد على ضرورة استيعاب المسلمين لمقاصد الشريعة والقيم الأخلاقية والاجتماعية التي تحتويها النصوص الدينية. يشدد على أن العقل الإسلامي يحتاج إلى تطوير منهجية فكرية قادرة على استيعاب المتغيرات الحضارية الحديثة دون فقدان الهوية الإسلامية[1].

الفرع الثالث: مقارنة بين أركون وبن نبي

أولا: موقفهما من النص الديني:

- أركون :يتبنى موقفًا نقديًا يهدف إلى تحرير النص الديني من القراءات التقليدية، ويدعو إلى استخدام مناهج حديثة لتحليل النصوص.

[1] مالك بن نبي، العقل الإسلامي والنص الديني، مجلة الفكر العربي، العدد 125، 2004.

- بن نبي :يركز على فهم النص الديني كمصدر للقيم الحضارية، ويرى أن النصوص الدينية تحمل في طياتها إمكانيات نهضوية تحتاج إلى استعادة وفهم صحيح.

ثانيا : منهجية التحليل:

- أركون :يستخدم أدوات التحليل التاريخي والفلسفي الحديثة، ويشدد على أهمية السياق التاريخي والاجتماعي في فهم النصوص.
- بن نبي :يعتمد على تحليل حضاري يركز على كيفية استعادة الدور الريادي للحضارة الإسلامية من خلال فهم مقاصد الشريعة وتطبيقها في الحياة المعاصرة.

ثالثا : الرؤية النهائية:

- أركون :يسعى إلى تجديد الفكر الإسلامي بشكل يجعله متوافقًا مع متطلبات العصر الحديث، مع التركيز على الانفتاح والحوار الثقافي.
- بن نبي :يهدف إلى استعادة نهضة الحضارة الإسلامية من خلال تجديد العقلية الحضارية للمسلمين وفهم النص الديني بشكل يعزز القيم الاجتماعية والأخلاقية.

مما سبق نستخلص أن كل من محمد أركون ومالك بن نبي رؤى متكاملة ومختلفة للعقل الإسلامي والنص الديني. أركون يركز على النقد التاريخي والفلسفي والتحرر من القراءات التقليدية، بينما يسعى بن نبي إلى إحياء الحضارة الإسلامية من خلال فهم النصوص الدينية كمصدر للقيم الحضارية. يجمع بينهما الحرص على تجديد الفكر الإسلامي، لكن مناهجهما وأهدافهما النهائية تختلف بشكل جوهري.

المطلب الثاني: إشكالية التراث بين ابن نبي ومحمد عابد الجابري

إشكالية التراث تُعد من القضايا المركزية التي شغلت بال المفكرين المسلمين في العصر الحديث، ومن أبرز من تناولها: مالك بن نبي ومحمد عابد الجابري. فيما يلي استعراض وتحليل لمواقفهما حول التراث.

الفرع الأول : مالك بن نبي: إشكالية التراث

أولا : مفهوم التراث الحضاري :

مالك بن نبي يرى أن التراث الإسلامي يجب أن يُفهم كمصدر للقيم الحضارية والاجتماعية التي يمكن أن تساهم في نهضة الأمة الإسلامية. يعتبر التراث جزءًا لا يتجزأ من الهوية الإسلامية، ويجب على المسلمين استلهامه بطريقة تسهم في تجديد الفكر والحضارة الإسلامية[1].

ثانيا: القابلية للاستعمار :

بن نبي يعتقد أن جزءًا كبيرًا من مشكلة المسلمين في التعامل مع التراث ينبع من "القابلية للاستعمار"، أي الاستعداد النفسي والثقافي الذي يجعلهم عرضة للتبعية والتخلف. يشدد على أن الحل يكمن في إعادة اكتشاف واستيعاب القيم الأصيلة في التراث الإسلامي التي يمكن أن تعزز الاستقلالية والنهضة الحضارية.

[1] عميرات محمد أمين، التراث بين مالك بن نبي و محمد عابد الجابري،–دراسة في التصور و الممارسة–، اطروحة دكتوراه ،قسم التاريخ ، شعبة الثقافة الشعبية ، جامعة ابي بكر بلقايد ، 2014–2015،ص 43

ثالثا: التجديد الحضاري :

يؤكد بن نبي على ضرورة تجديد التراث بطريقة تضمن انسجامه مع مقتضيات العصر الحديث. يرى أن هذا التجديد يجب أن يكون مستنيرًا بروح الإسلام الحقيقية التي تجمع بين الأصالة والمعاصرة، بحيث يمكن للتراث أن يكون دافعًا للإبداع والابتكار بدلاً من أن يكون عبئًا يعوق التقدم[1].

الفرع الثاني : محمد عابد الجابري: إشكالية التراث

أولا نقد العقل العربي :

محمد عابد الجابري يُعرف بمشروعه الضخم "نقد العقل العربي" الذي يتناول فيه بالتحليل النقدي المكونات الفكرية والثقافية التي شكلت العقل العربي. الجابري يميز بين ثلاثة نظم معرفية في التراث العربي: البيان، العرفان، والبرهان. يعتقد أن غلبة نظام البيان (الذي يرتكز على النصوص الدينية والتفسير التقليدي) أدت إلى جمود العقل العربي[2].

ثانيا : التراث وإعادة البناء:

يرى الجابري أن التراث يجب أن يُعاد بناؤه من خلال عملية نقدية تفكك بنيته الفكرية وتعيد ترتيب مكوناته بشكل يتوافق مع متطلبات العصر الحديث. يؤكد على ضرورة التخلص من الجمود الفكري والانفتاح على العلوم والمعارف الحديثة. يدعو إلى تبني منهجية عقلانية نقدية مستمدة من نظام البرهان (الفلسفة والعلم) لإعادة قراءة التراث.

[1] عميرات محمد أمين ،مرجع سابق، ص 76

[2] محمد عابد الجابري، **التراث والحداثة** ، مجلة الفكر العربي، العدد 103، 1998.

التراث والعقلانية :يشدد الجابري على أن التراث يجب أن يكون موضوعًا لدراسة نقدية علمية، وليس فقط موضوعًا للتقديس أو الرفض. يعتقد أن هذه الدراسة النقدية يجب أن تهدف إلى تحرير العقل العربي من القيود التقليدية التي تعوق قدرته على الإبداع والتجديد[1].

الفرع الثالث : مقارنة بين ابن نبي والجابري

أولا : المنهجية:

- ابن نبي :يركز على الجانب الحضاري والثقافي للتراث، ويعتبره مصدرًا للقيم التي يمكن أن تسهم في النهضة إذا ما أُعيد استيعابها بشكل صحيح.
- الجابري :يعتمد على منهجية نقدية تحليلية تستهدف تفكيك وإعادة بناء البنية الفكرية للتراث، مع التركيز على تحرير العقل من قيود التقليد والجمود.

ثانيا : الأهداف:

- ابن نبي :يهدف إلى إحياء النهضة الحضارية الإسلامية من خلال تجديد الفهم للتراث والقيم التي يحملها، وإعادة اكتشاف دوره في بناء مجتمع حضاري مستقل.
- الجابري :يسعى إلى تحرير العقل العربي من التأثيرات السلبية للتراث التقليدي، وإعادة بناء الفكر العربي على أسس عقلانية نقدية تتوافق مع متطلبات العصر الحديث.

[1]محمد عابد الجابري، **التراث والتجديد** ، مجلة الفكر العربي، العدد 22، 1978.

ثالثا : التجديد:

- ابن نبي :التجديد يأتي من الداخل، من خلال إعادة فهم واستيعاب القيم الأصيلة في التراث.
- الجابري :التجديد يأتي من خلال نقد وتحليل التراث، واستيعاب العلوم والمعارف الحديثة لتحرير العقل العربي من الجمود.

خلاصة الفصل :

في ختام هذا الفصل، نكون قد استعرضنا بشكل مقارن الأفكار المتنوعة حول مفهوم الحضارة لدى مالك بن نبي وكل من ابن خلدون، أرنولد توينبي، وأوزوالد شبنجلر. أوضحنا كيف ركز ابن خلدون على الدورة الحضارية المتمثلة في النشوء، النمو، الازدهار، والانحدار، بينما تناول توينبي مفهوم التحدي والاستجابة كديناميكية لتطور الحضارات، وأشار شبنجلر إلى الحتمية التاريخية للحضارات. في المقابل، قدم مالك بن نبي رؤية متميزة تربط بين الأفكار والقيم كأساس لبناء الحضارة.

كما تطرقنا إلى موضوع العقل الإسلامي في النص الديني، حيث قارنا بين رؤى مالك بن نبي ومحمد أركون. أكد بن نبي على ضرورة تجديد الفكر الإسلامي من الداخل عبر تعزيز القيم والأفكار البناءة، بينما دعا أركون إلى قراءة نقدية عقلانية للنصوص الدينية وتفكيك البنى التقليدية لفهم أعمق وأكثر تحررًا للعقل الإسلامي.

وعند تناول إشكالية التراث، قارنّا بين أفكار مالك بن نبي ومحمد عابد الجابري. رأى بن نبي في التراث مصدر إلهام يجب تنقيحه واستلهام قيمه الإيجابية لتجاوز التخلف، في حين شدد الجابري على ضرورة النقد العقلاني للتراث والتمييز بين الموروث الثقافي والديني لبناء حداثة عربية تنبع من واقعها وتاريخها.

الخاتمة

الخاتمة :

تناولت في هذا العمل مفهوم الحضارة بشكل عام، حيث استعرضت تعاريفها و خصائصها . كما قمت بتحليل نظريات ثلاث من أعظم المفكرين في هذا المجال: ابن خلدون، أرنولد توينبي، وأوزوالد شبنجلر. ابن خلدون قدم لنا نظرية الدورة الحضارية والتي تتكون من مراحل النشوء، النمو، الازدهار، والانحدار، موضحًا أن لكل حضارة دورة حياة مشابهة للكائنات الحية. توينبي بدوره قدم نظرية التحدي والاستجابة، حيث يرى أن الحضارات تتطور من خلال استجابتها للتحديات التي تواجهها. أما شبنجلر فقد ركز على فكرة الحتمية التاريخية للحضارات، مشيرًا إلى أن كل حضارة تمر بمراحل محددة من النمو والانحدار .

بعدها انتقلت إلى تحليل مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي، الذي قدم رؤية متكاملة لمراحل الحضارة، مقسمة إلى ثلاث مراحل رئيسية: مرحلة التكوين، ومرحلة التمكين، ومرحلة السقوط .

ثم قمت باستعراض أفكاره حول كيفية بناء الحضارة وكيفية تجاوز الأزمات التي تعترضها، مشددًا على دور الأفكار والقيم في بناء المجتمعات .

وثم قمت بإجراء مقارنة معمقة بين نظريات مالك بن نبي ونظريات ابن خلدون، وتوينبي و اشبلنجر، وبينّا كيف قدم كل مفكر رؤية متميزة لفهم الدورة الحضارية، حيث يمكننا أن نستفيد من جميع تلك الرؤى لفهم أعمق لتطور الحضارات، وشرحت أوجه التشابه والاختلاف بين هذه النظريات، مع التركيز على إسهامات مالك بن نبي في هذا السياق. كما تطرقت في هذا الفصل إلى جدلية النهضة العربية بين مالك بن نبي ومعاصريه، ومن بين اهم النتائج التي توصلت اليها:

- النظريات التي قدمها ابن خلدون، توينبي، شبنجلر، ومالك بن نبي، رغم اختلافها في التفاصيل والمنهجيات، تقدم رؤى متكاملة لفهم دورة الحضارات وتطورها. هذا التنوع في الفهم يساعد في تكوين صورة شاملة لتطور الحضارات عبر التاريخ.
- أكد مالك بن نبي على أن الأفكار والقيم تشكل الأساس الحقيقي لبناء الحضارات، وهو ما يميز نظريته عن نظريات المفكرين الآخرين الذين ركزوا على العوامل المادية والاجتماعية.
- بينما تتشابه نظريات ابن خلدون ومالك بن نبي في فكرة الدورة الحضارية، يختلفان في التركيز على العوامل المؤثرة، حيث ركز ابن خلدون على العوامل الاجتماعية والاقتصادية، بينما ركز بن نبي على العوامل الفكرية والقيمية.
- تشترك نظريتا شبنجلر وتوينبي في رؤية الحضارات كمجموعات تاريخية تمر بمراحل محددة، لكن تختلفان في تفسير كيفية حدوث هذه المراحل.
- يمكن استخدام هذه النظريات لفهم واقع الحضارات المعاصرة واستشراف مستقبلها، حيث تساعد في تحديد نقاط القوة والضعف والتحديات التي تواجهها، وبالتالي تقديم حلول أكثر شمولية وفعالية.

قائمة المصادر و

المراجع

قائمة المراجع :

1) ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، دار القلم، بيروت، لبنان، ط5، 1984.
2) ابن خلدون، ديوان المبتدا والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشان الأكبر، ضبطه : خليل شحادة، مرا سهيل، زكار، دار الفكر بيروت، 2001.
3) أرنولد توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ج 1، ص 401
4) أسوالد اشبنغلر، تدهور الحضارة الغربية، تر: أحمد الشيباني، ج1 ، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (دط)، (دت).
5) أنور الجندي، الحضارة في مفهوم الإسلام (القاهرة: دار الأنصار، ط4، د.ط، د.ت)
6) براهيم مذكو لذكور و أخرون، المعجم الوجيز، دار التحرير للطباعة والنشر، مصر، د.ط، 1989 .
7) بو زيد شلبي، تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، القاهرة: مكتبة وهبة، د.ط، 2012.
8) تقي الدين النبهاني، نظام الإسلام، منشورات حزب التحرير، ط6، بيروت، 2001.
9) حسين فوزي النجار، الإسلام وفلسفة الحضارة، دار التعاون، د ط، د س، القاهرة.
10) حسين يوسف، موفق بن نبي مالك من الفكر الغربي الحديث، دار الخلدونية، القبة، الجزائر ، ط 1، 2010 .
11) الخطيب سليمان، أسس مفهوم الخضارة في الاسلام، دار الزهراء والاعلام الغربي، مصر، ط 1، 1986 .
12) رأفت غنيمي الشيخ، فلسفة التاريخ، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 1988.
13) زياد عبد الكريم النجم، توينبي ونظريته في التحدي والاستجابة، توينبي ونظرية التحدي والاستجابة الحضارة الاسلامية، الهيئة العامة السورية للكتاب، سوريا، ط، 2010.
14) سليمان الخطيب، فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي دراسة اسلامية في ضوء الواقع المعاصر، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1993.
15) الطيب برغوت، موقع المسألة الثقافية في إستراتيجية التجديد الحضاري عند مالك بن نبي.

16) عمر فروخ الحضارة الإنسانية وقسط العرب فيها، مكتبة المهتدين ودار بيروت للطباعة والنشر، ط2، بيروت، 1980.
17) فوزية بريون، مالك بن نبي حياته عصره وحيات، دار الفكر،د ط،دمشق، 2010 .
18) مالك بن نبي، وجهة العالم الاسلامي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، سورية، ط 5، 1986.
19) مالك بن نبي ، آفاق جزائرية، ترجمة: الطيب شريف، مكتبة النهضة الجزائرية، د ط، د ت.
20) مالك بن نبي القضايا الكبرى، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2000.
21) مالك بن نبي، بين التيه والرشاد، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2002.
22) مالك بن نبي، بين الرشاد و التيه، دار الفكر، دمشق، 2002 .
23) مالك بن نبي، شروط النهضة، دار الفكر، دمشق، 1986.
24) مالك بن نبي، مشكلات الحضارات، دار الفكر، دمشق، سوريا.
25) مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الاسلامي، ترجمة: بسام بركة وأحمد شعبو، دار الفكر دمشق، سورية ،ط 9، 2009 .
26) مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، دار الفكر، دمشق، 2000 .
27) مالك بن نبي، ميلاد المجتمع، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، سورية، ط3، 1986.
28) مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، دار الفكر، دمشق، 1986 .
29) مالك بن نبي، وجهة العلم الإسلامي، تر: عبد الصبور سبور شاهين، دار الفكر، دمشق، سورية.
30) محمد أركون، الإسلام والعقلانية، دار الساقي، لندن، 1985.
31) محمد العبدة، مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي، الإسلام اليوم، الخميس 28 ربيع الأول 1424 الموافق 29 مايو 2003.
32) محمد عابد الجابري، التراث والتجديد، مجلة الفكر العربي، العدد 22، 1978.

33) محمد عابد الجابري، التراث والحداثة ، مجلة الفكر العربي، العدد 103، 1998.
34) محمد عطية عطية، مقدمة في الحضارة الاسلامية ونظمها دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، الاردن، 2011.
35) مؤنس حسين ، الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها ، ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ،الكويت ، 1998 .
36) الهادي التيمومي ، اشراف نظريات المعرفة التاريخية، وفلسفات التاريخ في العالم الغربي، في النصف الثاني من القرن العشرين مختارات معربة، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، ط1، 2008.
37) هاشم يحي الملاح، المفصل في فلسفة التاريخ، دراسة تحليلية في فلسفة التاريخ التأملية والنقدية.

الرسائل الجامعية :

1) أرفنير علي، إشكالية النهضة بين مالك بن نبي وسيد قطب، رسالة لنيل شهادة الماجستير في فلسفة الحضارة، تحت إشراف معيرش موسى قسم العلوم الإنسانية والإجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة.
2) بروال جمال، الدورة الحضارية بين فكر مالك بن نبي وأسوالد اشبنغلر، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة 2012-2013.
3) عميرات محمد أمين، التراث بني مالك بن نبي و محمد عابد الجابري –دراسة في التصور و الممارسة–، اطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، شعبة الثقافة الشعبية، جامعة ابي بكر بلقايد، 2014-2015.
4) فهد بن عبد العزيز السنيدي، حوار الحضارات دراسة عقدية في ضوء الكتاب والسنة، رسالة دكتوراه، قسم الثقافة الإسلامية كلية التربية السعودية، جامعة الملك سعود (1430هـ)، المقدمة".

المجلات :

1) حسين مؤنس، الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، عالم المعرفة، دار عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد الأول، الكويت، 1978.
2) حسين مؤنس، الحضارة: دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، مجلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ،1978.
3) عيساوي وهيبة، مفهوم الحضارة عند ابن خلدون و أبعاده، مجلة العلوم الإجتماعية، العدد 02، قسم علم الاجتماع و الديموغرافيا، جامعة الاغواط، 2007 .
4) قادري محمد الطاهر، مفهوم الإصلاح الحضاري عند مالك بن نبي، مجلة الحقوق والعلوم الانسانية، المجلد 12، العدد 01، المركز الجامعي بالجلفة.
5) مالك بن نبي، العقل الإسلامي والنص الديني، مجلة الفكر العربي، العدد 125، 2004.
6) نبيل مسيعد، فلسفة الحضارة عند ارنولد توينبي"، مجلة الإحياء، مج. 21، ع. 28، جامعة باتنة –1– الجزائر، جانفي 2021 .

مواقع الانترنت :

1) محمد لعاطف، مقومات النهوض الحضاري عند مالك بن نبي، مركز الأصالة للدراسات، شبكة معرفية: www.veecos.net، الأربعاء 08 يونيو 2011، تاريخ الزيارة: 15–03–2024.

مراجع اجنبية

1) OXFORD adveneced lerners dietionnary nternational student etidion th etidion 2006 p 255

الملخص :

وفي هذه الدراسة، قمت باستعراض ابرز الأفكار المتنوعة حول مفهوم الحضارة لدى مالك بن نبي، و قمت ايضا بمقارنة مفهوم الحضارة لدى مالك بن نبي وكل من ابن خلدون، توينبي، وشبنجلر. حيث ركز ابن خلدون على الدورة الحضارية، بينما تناول توينبي مفهوم التحدي والاستجابة، وأشار شبنجلر إلى الحتمية التاريخية.اما فيما يخص بن نبي فقد قدم رؤية تربط بين الأفكار والقيم كأساس لبناء الحضارة. كما قارنت بين رؤى بن نبي ومحمد آركون حول العقل الإسلامي، حيث أكد بن نبي على تجديد الفكر الإسلامي من الداخل، بينما دعا آركون إلى قراءة نقدية للنصوص الدينية. وفي إشكالية التراث، رأى بن نبي في أن التراث مصدر إلهام، بينما شدد الجابري على النقد العقلاني والتمييز بين الموروث الثقافي والديني .

كلمات مفتاحية: الحضارة، ابن خلدون، توينبي، شبنجلر، مالك بن نبي، العقل الإسلامي، محمد أركون، إشكالية التراث، محمد عابد الجابري.

Summary:

In this study, I reviewed the main diverse ideas about the concept of civilization according to Malik Bennabi. I also compared Bennabi's concept of civilization with those of Ibn Khaldun, Toynbee, and Spengler. Ibn Khaldun focused on the civilizational cycle, while Toynbee addressed the concept of challenge and response, and Spengler pointed to historical determinism. As for Bennabi, he presented a vision linking ideas and values as the foundation for building civilization. Additionally, I compared the views of Bennabi and Mohammed Arkoun on the Islamic mind, where Bennabi emphasized renewing Islamic thought from within, while Arkoun called for a critical reading of religious texts. Regarding the issue of heritage, Bennabi saw heritage as a source of inspiration, whereas Jabri emphasized rational critique and the distinction between cultural and religious legacy.

Keywords: civilization, Ibn Khaldun, Toynbee, Spengler, Malik Bennabi, Islamic mind, Mohammed Arkoun, issue of heritage, Mohammed Abed al-Jabri.